قصة أصحاب السبت

الشيخ علي حسن غلوم

www.aklamona.com

– 8 –

قصة أصحاب السبت

أشير إلى قصة أصحاب السبت في القرآن ثلاث مرات، وهي كالتالي:

{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ، فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[1].

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[2].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً}[3].

فكيف تناول المفسرون هذه القصة من حيث التأويل، أي من حيث تحديد اسم القرية وموقعها الجغرافي وزمن الحدث وطبيعة ما حدث ... إلخ؟

- التحديد الجغرافي:

---

[1]. سورة الأعراف:163-166.

[2]. سورة البقرة:64-65.

[3]. سورة النساء:47.

عندما نعود إلى كتب التفسير، سنجد أنها تذكر عدة احتمالات حول التحديد الجغرافي لموقع القرية، ويمكن تلخيصها كالتالي:

○ أيلة: قال الطبري في تفسير الآية 163 من سورة الأعراف: (كانت بحضرة البحر، أي بقرب البحر وعلى شاطئه. واختلف أهل التأويل فيها، فقال بعضهم: هي أيلة)[4].

أيلة أو آيلة، مدينة قديمة أنشئت على الموقع الحالي لمدينة العقبة الموجودة في جنوب الأردن، وتقع أطلالها شمال غرب المركز الحالي لمدينة العقبة.

وقد استعرض الطبري أسماء بعض مَن قال بأنها مدينة أصحاب السبت، وهم كالتالي:

1. (حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس: {وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ} قال: هي قرية يقال لها أيلة، بين مَدْيَن والطُّور).

2. (حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، في قوله: {وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ} قال: سمعنا أنها أيلة).

3. (حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: هم أهل أيلة، القرية التي كانت حاضرة البحر).

4. (حدثني الحرث، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد، في قوله: {وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ} قال أيلة).

[4]. الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ١٢١-١٢٢.

5. (حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ...} الآية، ذُكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يُقال لها أيلة)[5].

○ مقنا / مقناة: قال الطبري: (وقال آخرون: هي مقنا)[6].

مقنا أو مقناء مدينة ساحلية تقع على خليج العقبة في منطقة تبوك السعودية، وتبعد عن تبوك 235كم، وتشتهر بمناظرها الخلابة، كما تمتاز بكثرة وجود أشجار النخيل بها والفواكه والمانجو والليمون وكذلك مناظرها البحرية الخلابه الغنية بالأحياء البحرية والشعب المرجانية.

وصاحب هذه المقولة كما ذكر الطبري كالتالي:

1. (حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن يزيد[7]، في قوله: {وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ} قال: هي قرية يقال لها مقنا بين مَدين وعينونَى)[8].

ونقل القرطبي تحديد موضع مقنا حيث قال مستعرضاً أقوال المفسرين: (هي ساحل من سواحل الشأم، بين مَدْين وعَيْنون، يقال لها: مقناة)[9].

○ مَديَن: ثم ذَكر الطبري الرأي الثالث، قال: (وقال آخرون: هي مَدين)[10].

---

[5]. الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ١٢٢-١٢٣.

[6]. الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ١٢٣.

[7]. يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي، مولى معاوية بن أبي سفيان. عن أحمد بن حنبل، قال وكيع: (رأيت يونس بن يزيد وكان سيئ الحفظ). قال الأثرم: (أنكر أبو عبد الله على يونس فقال: كان يجيء عن سعيد بأشياء ليست من حديث سعيد، وضعّف أمر يونس، وقال: لم يكن يعرف الحديث. وقال أبو زرعة النصري: (سمعت أحمد بن حنبل يقول: في حديث يونس بن يزيد مُنكرات عن الزُّهري) وكان قد صحب الزهري ثنتي عشرة سنة. بعد كل هذا عُبِّر عنه بالإمام الثقة !

[8]. الطبري: جامع البيان، ج ٦، ص ١٦٣.

[9]. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٩٤.

[10]. الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ١٢٣.

مدين أو مدائن شعيب أو مغاير شعيب: مدينة تاريخية تضم بيوتاً ومعابد أثرية منحوتة في الصخر والجبال، وهي شبيه بآثار »مدائن صالح«. تقع حالياً في مدينة تسمى »البدع «، ولا تقع على –أو بالقرب من – مسطح مائي كالبحر أو النهر أو البحيرة.

وصاحب هذه المقولة كما ذكر الطبري كالتالي:

1. (حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هي قرية بين أيلة والطور يقال لها مَدين)[11]. لاحظ أن عكرمة روى قولين مختلفين عن ابن عباس، واتضح لنا أن مدين لا تقع على البحر أو أي مسطح مائي أصلاً.

○ طبرية: أما الطبرسي في تفسيره »مجمع البيان« فقد أضاف إلى ما سبق اسم بلدة أخرى هي »طبرية«، قال: (وقريبة من البحر على شاطىء البحر وهي إيلة عن ابن عباس. وقيل: هي مدين عنه أيضاً. وقيل: طبرية عن الزُّهْري)[12].

وهكذا فعل الفخر الرازي، قال: (الأكثرون على أن تلك القرية أيلة. وقيل: مدين. وقيل طبرية، والعرب تسمى المدينة قرية)[13]. والجملة الأخيرة دفع لإشكال قد يُثار على تسمية بعض هذه المدن باسم قرية، وهي أكبر من ذلك، فطبريا أو طبريّة مِن أقدم مدن فلسطين، وتبعد عن القدس 198 كم تقريباً. تُعد المدينة من المدن المقدسة الأربعة عند اليهود.

○ أيكة: وفي تفسير القمي »أيكة« بدلاً من »أيلة«، ولا نعلم هل أن هذا من التصحيف، أم المراد بذلك مدينة قوم النبي شعيب »عليه السلام« حيث قال الله »تعالى«: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ}[14].

---

[11]. الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ١٢٣.

[12]. الطبرسي: مجمع البيان، ج ٤، ص٣٨٠.

[13]. الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج ١٥، ص٣٦.

[14]. سورة آل عمران:7.

والرواية كالتالي: (عن أبي جعفر »عليه السلام« قال: وجدنا في كتاب علي »عليه السلام« أن قوماً من أهل أيكة.....)[15].

فإنْ قلنا بعدم تصحيف الكلمة، وقلنا كذلك باتحاد »مدين« مع »أيكة« بلحاظ أن القرآن الكريم ذكر بعثة النبي شعيب »عليه السلام« مرّة إلى مدين، كما في قوله »تعالى«: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[16]، ومرة إلى أصحاب الأيكة كما مرّ بنا، فستكون الأقوال لدينا أربعة، وهي: أيلة، مقنا، مدين، طبرية. وأما إذا قلنا بعدم اتحاد »مدين« مع »أيكة« بلحاظ أن سورة الشعراء كانت تصف الأقوام الذين أرسل الله »عز وجل« إليهم الأنبياء بإضافة »أخوهم«، قال »تعالى«:

---

[15]. القمي: تفسير علي بن إبراهيم القمي، ج ١، ص ٢٤٤.

[16]. سورة الأعراف:85.

{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ}[17].

{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ}[18].

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ}[19].

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ}[20].

ولم تُذكر هذه الإضافة مع اسم النبي »شعيب«، قال »تعالى«: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ }[21].

بينما ذكر الله في سورة الأعراف أن شعيباً أخو مدين: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}، واستنتج البعض من ذلك أن »مدين« ليست »أيكة« أو »الأيكة«، بل منطقة قريبة منها، وأن شعيباً أُرسل إلى أهل مدينته »مدين« كما أُرسل إلى المدينة الأخرى »أيكة« أو »الأيكة«، وبذا تكون الأقوال حول موقع أصحاب السبت خمسة. وحيث أن الأربعة الأولى ليست مروية عن النبي »صلى الله عليه وآله« بل هي أقوال بعض المفسرين، والأخيرة مروية عن الإمام علي »عليه السلام«، فهي ستكون مرجّحة عليها والمتعيّنة لو استطعنا إثبات صحة نسبتها إلى الإمام، وهو ما لا نملكه بسبب أن نسخة تفسير القمي المتوفرة بين أيدينا – كما ذكرت في بداية الكتاب – هي مزيج من أكثر من كتاب ومؤلف، ولا يمكن الوثوق بكل ما جاء فيها، ومن بينها هذه الرواية... هذا كله على فرض أن »أيكة« ليست »أيلة« ولا »مدين«.

- التحديد الزمني:

---

[17]. سورة الشعراء: 105-106.

[18]. سورة الشعراء: ١٢٣-١٢٤.

[19]. سورة الشعراء: ١٤١-١٤٢.

[20]. سورة الشعراء: ١٦٠-١٦١.

[21]. سورة الشعراء: ١٧٦-١٧٧.

قام القرطبي في تفسيره »جامع الأحكام« بتحديد المقطع الزمني الذي وقعت فيه هذه القصة، وإن لم يؤكّد ذلك أو ينفيه، قال: (ورُوي في قصص هذه الآية أنها كانت في زمن داود »عليه السلام«)[22]. أي قبل 3000 سنة تقريباً. ولا نعلم من الراوي؟ وهل يروي ذلك عن النبي »صلى الله عليه وآله«؟ وما سند الرواية؟

ولذا فالمسألة ستبقى غامضة على مستوى تحديد المكان والزمان إلى أن نبحث فيها خارج إطار مرويات المسلمين، فلعلنا نصل إلى شيء في المقام.

وقد أحسن الطبري حيث قال معلِّقاً بعد ذكر أقوال المفسرين: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر، وجائز أن يكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا لأن كلّ ذلك حاضرة البحر. ولا خبر عن رسول الله »صلى الله عليه وسلم« يقطع العذر بأن ذلك من أيّ، والاختلاف فيه على ما وصَفْت، ولا يوصل إلى علمِ ما قد كان فمضى مما لم نعاينه، إلاَّ بخبرٍ يوجب العلم، ولا خبر كذلك في ذلك)[23].

• التأويل بالرأي:

والحقيقة أن كل الأقوال السابقة – ما عدا رواية القمي والتي عرفنا حال سندها ومصدرها – تندرج تحت عنوان التأويل بلا علم والذي حذّرت منه الآية الشريفة حيث قال »تعالى«: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}[24]. إذ لا نجد قولاً منسوباً إلى النبي »صلى الله عليه وآله« ولا إلى أحد من أهل بيته »عليهم السلام«، بل قد تكون أقوالاً اجتهادية أو مأخوذة عن مُسلِمة أهل الكتاب. ويجب أن ننتبه إلى أن كثيراً من التأويلات الواردة في كتب التفسير – بحسب التتبع – هي من هذا القبيل، وتدخل في إطار ما

---

[22]. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٩٤.

[23]. الطبري: جامع البيان، ج ٦، ص ٩٢.

[24]. سورة آل عمران: ٧.

يُعرف بعنوان التفسير بالرأي، أي بلا دليل ولا قرينة، والذي يشمل التأويل ضمناً، وقد وردت عدة روايات في النهي عن ذلك، ومن بينها:

○ عن النبي الأكرم »صلى الله عليه وآله«: (أكثر ما أخاف على أمّتي مِن بعدي رجلٌ يتناول القرآن، يضعه على غير مواضعه)[25].

○ وعن الإمام جعفر الصادق »عليه السلام« أنه قال: (مَن فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر, وإن أخطأ كان إثمه عليه)[26].

○ وعن الإمام علي الرضا »عليه السلام« أنه قال لعلي بن محمد بن الجهم: (لا تؤوّل كتاب الله »عز وجل« برأيك)[27].

وما ينطبق على التحديد الجغرافي والزمني واسم قرية أصحاب السبت ينطبق على التفاصيل التي لم يذكرها القرآن الكريم حول القصة، ولم ينقل منها إلا القليل الذي أراد من خلاله أن يقدِّم الفكرة المطلوب بيانها دون الدخول في تفاصيل الأحداث.

ومضمون القصة القرآنية – بغض النظر عن الروايات – كالتالي: قرية على ساحل البحر، يسكنها بنو إسرائيل ويلتزمون بالشريعة الموسوية القاضية بأن يكون يوم السبت – ويبدأ من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت – يوماً بلا عمل، ومخصصاً للعبادة، أراد الله »عز وجل« أن يختبر مدى التزامهم بالشريعة، وحيث كان اقتصادهم وحياتهم قائمة على صيد الأسماك، لذا فقد شاء الله أن يجعل اختبارهم في هذا المورد على وجه الخصوص. وتَمثَّل هذا الاختبار الإلهي في أن تأتي الأسماك التي كانوا يرغبون في اصطيادها بالقرب من الساحل وبشكل ظاهر بَيّن {شُرَّعاً} وذلك في خصوص يوم السبت، على خلاف باقي أيام الأسبوع. لم يستطع قسم من صيادي أهل هذه القرية مقاومة هذا الإغراء، فتعدّوا على التشريع الإلهي فانقسم

---

[25]. المجلسي: بحار الأنوار، ج89، ص111، ح20.

[26]. مقدمة تفسير العياشي، ج1، ص 17.

[27]. الصدوق: عيون أخبار الرضا, ج1، ص 153.

مجتمعهم بالإضافة إلى المتعدّين إلى قسمين آخرين.. قسم غير مبالي، وقسم معارض ينهى عن المنكر الذي فعلوه.

وتُشير الآية إلى أن القسم غير المبالي حاول ثَنْي الناهين عن المنكر عن دورهم الإصلاحي، في الوقت الذي أصرّوا فيه على المضي قُدُماً في هذا الطريق تحمّلاً للمسؤولية وإعذاراً أمام الله »عز وجل«. وحيث تجاوز المعتدون حدودَهم وطغوا في جريمتهم بعد أن نُهوا عنها وتخلّوا عن الميثاق الخاص بيوم السبت، لذا فقد أنزل الله عقوبته بهم وبمن سكت عن الحق ولم ينه عن المنكر.. ونجّى الآخرين. أما العقوبة الإلهية فتمثّلت في أنْ جَعلهم قِردةً خاسئين.. هذه هي خلاصة القصة كما جاءت في القرآن.. وأما في بعض الروايات فنجد تفاصيل أكثر بهذا الخصوص، وسنتناولها لاحقاً في حينه.

ولابد لنا هنا من وقفة مع خصوصية التشريع المتعلّق بيوم السبت لدى اليهود بالمستوى الذي تنزل فيه العقوبة الإلهية، وبهذه الصورة التي ذكرتها الآيات الشريفة.

- تشريع السبت في التنخ:

في التوراة – وكما أكّد ذلك القرآن الكريم – أنّ الله »عز وجل« ألزم النبي موسى »عليه السلام« ومَن آمن برسالته بميثاق السبت، والنصوص على هذا كثيرة، مِن بينها ما جاء عن الكلام الذي دار بين موسى وبين الله »عز وجل« خلال لقاء الأربعين ليلة.

فقد جاء في الأصحاح 31 من سفر الخروج: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: وَأَنْتَ تُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: سُبُوتِي تَحْفَظُونَهَا، لأَنَّهُ عَلاَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يُقَدِّسُكُمْ، فَتَحْفَظُونَ السَّبْتَ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ. مَنْ دَنَّسَهُ يُقْتَلُ قَتْلًا).

نلاحظ التشديد في الالتزام بالتشريع لما لدى القوم من روحية التمرد وهو ما سيكررونه خلال تاريخهم عدة مرات.

(إِنَّ كُلَّ مَنْ صَنَعَ فِيهِ عَمَلًا تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ بَيْنِ شَعْبِهَا. سِتَّةَ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلًا. فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ يَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلاَمَةٌ إِلَى الأَبَدِ)[28] مجدداً نلاحظ التأكيد من خلال التكرار ومن خلال التهديد والتأبيد في التشريع.

ويتكرر هذا العهد في سفر الخروج واللاويين ثم في سِفر التثنية الذي يتضمّن الوصايا »المواثيق« العشر.

فقد جاء في الأصحاح 5 من سِفر التثنية: (وَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَتَكَلَّمُ بِهَا فِي مَسَامِعِكُمُ الْيَوْمَ، وَتَعَلَّمُوهَا وَاحْتَرِزُوا لِتَعْمَلُوهَا... أَنَا كُنْتُ وَاقِفًا بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَكُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ لِكَيْ أُخْبِرَكُمْ بِكَلاَمِ الرَّبِّ، لأَنَّكُمْ خِفْتُمْ مِنْ أَجْلِ النَّارِ، وَلَمْ تَصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ. فَقَالَ:) وبدأ بالتوحيد (أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا).

ثم انتقل إلى تشريع السبت (اِحْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَشْتَغِلُ وَتَعْمَلُ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَسَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لاَ تَعْمَلْ فِيهِ عَمَلًا مَّا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ وَكُلُّ بَهَائِمِكَ، وَنَزِيلُكَ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ لِكَيْ يَسْتَرِيحَ، عَبْدُكَ وَأَمَتُكَ مِثْلَكَ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَأَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ هُنَاكَ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ. لأَجْلِ ذلِكَ أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ تَحْفَظَ يَوْمَ السَّبْتِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ). وبعد هذا التفصيل بما يدلّ على أهمية الأمر والعناية به لاسيما وأنه جاء بعد الوصية بالتوحيد ينتقل إلى العناوين الأخرى: (لاَ تَقْتُلْ، وَلاَ تَزْنِ، وَلاَ تَسْرِقْ،

[28]. الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج، الأصحاح ٣١، ١٢-١٧.

وَلاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، وَلاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلاَ حَقْلَهُ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ)[29].

وبالمناسبة، فإنّ سورة البقرة حين أشارت إلى قصة أصحاب السبت سبقتها بالحديث عن مشهد أخْذ الميثاق من بني إسرائيل على عهد النبي موسى »عليه السلام« عند جبل الطور: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[30].

وأشار القرآن الكريم إلى هذا الميثاق المأخوذ من بني إسرائيل في موردين آخرين، وذلك في قوله »عز وجل«: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وبعد أن نفت الآية أن يكون إبراهيم »عليه السلام« من المشركين ردّاً على مزاعم العرب المشركين أنهم على ملّة إبراهيم، انتقل بهذه المناسبة إلى إبطال ما يشبه تلك المزاعم، وهي مزاعم اليهود أن ملّة اليهودية هي ملّة إبراهيم »عليه السلام« وبما يثير سؤالاً من المعاندين: كيف يكون الإسلام من ملّة إبراهيم، وفيه جُعل يوم الجمعة اليومَ المقدس، بينما جَعلت التوراة لليهود يوم التّقديس يوم السبت؟ ولعلّ اليهود شغبوا بذلك على المسلمين، فقال الله »سبحانه وتعالى« في معرض الجواب على هذا الإشكال: {إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ} وفُرِضَت أحكامه مِن قبيل التفرّغ للعبادة وتحريم العمل فيه والتجارة والصيد، واستخدام الخدم والدوابّ وما إلى ذلك {عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ} أي في تشريع السبت من حيث تفاصيله والمراوغة في تطبيقه والبحث عن الحيل للتملّص من التزاماته وتبعاته: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[31].

---

[29]. الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر التثنية، الأصحاح ٥، ١-٢١.

[30]. سورة البقرة:٦٤-٦٥.

[31]. سورة النحل:١٢٣-١٢٤.

والمعنى الإجمالي للآية أنه إنما جُعل يوم السبت للعبادة يوماً في كل أسبوع تشديداً وابتلاء وفتنة وكُلفة على اليهود الذين اختلفوا فيه بعد تشريعه، بين مَن قَبِله ومَن ردّه ومَن احتال فيه للعمل مع التظاهر بقبوله، و إنّ ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

وهكذا تحدثت سورة النساء عن هذا التشريع الذي أُلزم به بنو إسرائيل وتمّ تحذيرهم مِن مغبّة التهاون في أمره، واعتبار هذا الميثاق ميثاقاً غليظاً، قال »عز وجل«: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} فهل التزموا بذلك؟ لقد تمرّد منهم أقوامٌ فعاقبهم الله على ذلك: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}[32].

• صور من التمرّد على تشريع السبت:

ومن الصور التي نقلها العهد القديم »التنخ« بهذا الخصوص ما تحقق على عهد النبي موسى »عليه السلام«: (وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: »لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ«. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: »هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لاَ) أي هل سيطيعون أمري ويتّبعون شريعتي أم سيتمرّدون ويكرّرون احتجاجاتهم وتذمّرهم؟ (وَيَكُونُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمْ يُهَيِّئُونَ مَا يَجِيئُونَ بِهِ فَيَكُونُ ضِعْفَ مَا يَلْتَقِطُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا«).

قام النبيّان موسى وهارون »عليهما السلام« بإبلاغ القوم رسالةَ الله: (فَقَالَ مُوسَى وَهَارُونُ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: »فِي الْمَسَاءِ تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَفِي الصَّبَاحِ تَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ لاسْتِمَاعِهِ تَذَمُّرَكُمْ عَلَى الرَّبِّ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْنَا؟«. وَقَالَ مُوسَى: »ذلِكَ بِأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِيكُمْ فِي الْمَسَاءِ

[32]. سورة النساء:١٥٤-١٥٥.

لَحْمًا لِتَأْكُلُوا، وَفِي الصَّبَاحِ خُبْزًا لِتَشْبَعُوا، لاسْتِمَاعِ الرَّبِّ تَذَمُّرَكُمُ الَّذِي تَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا؟ لَيْسَ عَلَيْنَا تَذَمُّرُكُمْ بَلْ عَلَى الرَّبِّ«. وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: »قُلْ لِكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اقْتَرِبُوا إِلَى أَمَامِ الرَّبِّ لأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ«. فَحَدَثَ إِذْ كَانَ هَارُونُ يُكَلِّمُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمُ الْتَفَتُوا نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ، وَإِذَا مَجْدُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي السَّحَابِ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: »سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلِّمْهُمْ قَائِلًا: فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ«).

وتحقق الوعد الإلهي بإشباع القوم لحماً وبالبديل عن الخبز الذي يحتاجون فيه إلى الزراعة والحصاد والجمع والتنظيف والطحن والخَبز، فكان أن توفَّر هذا الطعام دون جهد يبذلونه، إلا بمقدار الجمع لما سيكون ميسّراً لهم ومتوافراً بكثرة، ودون انقطاع: (فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَى[33] صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدَى حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ. وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: »مَنْ هُوَ؟« لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: »هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. اِلْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: »لاَ يُبْقِ أَحَدٌ مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ«).

وظهرت أوّل حالة تمرّد منهم نتيجة الجشع وعدم الثقة بكلام الله ونبيّه وضعف إيمانهم: (لكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى، بَلْ أَبْقَى مِنْهُ أُنَاسٌ إِلَى الصَّبَاحِ، فَتَوَلَّدَ فِيهِ دُودٌ وَأَنْتَنَ. وَكَانُوا يَلْتَقِطُونَهُ صَبَاحًا فَصَبَاحًا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. وَإِذَا حَمِيَتِ الشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ. ثُمَّ كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمُ الْتَقَطُوا خُبْزًا مُضَاعَفًا، عُمَرَيْنِ لِلْوَاحِدِ. فَجَاءَ كُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ وَأَخْبَرُوا مُوسَى. فَقَالَ لَهُمْ: »هذَا مَا قَالَ الرَّبُّ: غَدًا عُطْلَةٌ، سَبْتٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. اخْبِزُوا مَا تَخْبِزُونَ وَاطْبُخُوا مَا تَطْبُخُونَ. وَكُلُّ مَا فَضِلَ ضَعُوهُ عِنْدَكُمْ لِيُحْفَظَ إِلَى الْغَدِ«. فَوَضَعُوهُ إِلَى الْغَدِ كَمَا أَمَرَ مُوسَى، فَلَمْ يُنْتِنْ وَلاَ صَارَ فِيهِ دُودٌ. فَقَالَ مُوسَى: »كُلُوهُ الْيَوْمَ، لأَنَّ لِلرَّبِّ الْيَوْمَ سَبْتًا. الْيَوْمَ لاَ تَجِدُونَهُ فِي الْحَقْلِ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لاَ يُوجَدُ فِيهِ«).

[33]. طائر السمّان.

وقام البعض بالتمرّد على أمر موسى »عليه السلام« مرة أخرى وبما له علاقة بتشريع يوم السبت: (وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّ بَعْضَ الشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا فَلَمْ يَجِدُوا. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: »إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟ اُنْظُرُوا! إِنَّ الرَّبَّ أَعْطَاكُمُ السَّبْتَ. لِذلِكَ هُوَ يُعْطِيكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ خُبْزَ يَوْمَيْنِ. اجْلِسُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ. لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ«. فَاسْتَرَاحَ الشَّعْبُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. وَدَعَا بَيْتُ إِسْرَائِيلَ اسْمَهُ »مَنًّا«. وَهُوَ كَبِزْرِ الْكُزْبَرَةِ، أَبْيَضُ، وَطَعْمُهُ كَرِقَاق بِعَسَل)[34].

وهكذا نجد صورة للتمرّد على تشريع السبت على عهد النبي »إرميا«، الذي عاصر السبي البابلي وما سبق ذلك من أحداث في القرن السادس قبل الميلاد: (هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِي: »اذْهَبْ وَقِفْ فِي بَابِ بَنِي الشَّعْبِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ مُلُوكُ يَهُوذَا وَيَخْرُجُونَ مِنْهُ، وَفِي كُلِّ أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ، وَقُلْ لَهُمُ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا مُلُوكَ يَهُوذَا، وَكُلَّ يَهُوذَا، وَكُلَّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ الدَّاخِلِينَ مِنْ هذِهِ الأَبْوَابِ. هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: تَحَفَّظُوا بِأَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَحْمِلُوا حِمْلًا يَوْمَ السَّبْتِ وَلاَ تُدْخِلُوهُ فِي أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ، وَلاَ تُخْرِجُوا حِمْلًا مِنْ بُيُوتِكُمْ يَوْمَ السَّبْتِ، وَلاَ تَعْمَلُوا شُغْلًا مَّا، بَلْ قَدِّسُوا يَوْمَ السَّبْتِ كَمَا أَمَرْتُ آبَاءَكُمْ. فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ، بَلْ قَسَّوْا أَعْنَاقَهُمْ لِئَلاَّ يَسْمَعُوا وَلِئَلاَّ يَقْبَلُوا تَأْدِيبًا). وبعد أن بيّن لهم النتائج التي يمكن أن تترتب على طاعتهم حذّرهم من مغبّة العصيان: (وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي لِتُقَدِّسُوا يَوْمَ السَّبْتِ لِكَيْلاَ تَحْمِلُوا حِمْلًا وَلاَ تُدْخِلُوهُ فِي أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ يَوْمَ السَّبْتِ، فَإِنِّي أُشْعِلُ نَارًا فِي أَبْوَابِهَا فَتَأْكُلُ قُصُورَ أُورُشَلِيمَ وَلاَ تَنْطَفِئُ«)[35].

وعلى عهد »نحميا بن حكليا« [36] وقع تمرّد آخر على تشريع السبت نجده في النص التالي: (فِي تِلْكَ الأَيَّامِ رَأَيْتُ) الرائي هو نحميا (فِي يَهُوذَا قَوْمًا يَدُوسُونَ مَعَاصِرَ فِي السَّبْتِ) أي يعصرون العنب لصناعة الخمر في ذلك اليوم (وَيَأْتُونَ بِحُزَمٍ وَيُحَمِّلُونَ حَمِيرًا، وَأَيْضًا يَدْخُلُونَ أُورُشَلِيمَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ بِخَمْرٍ وَعِنَبٍ وَتِينٍ وَكُلِّ مَا يُحْمَلُ، فَأَشْهَدْتُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَيْعِهِمِ الطَّعَامَ. وَالصُّورِيُّونَ) أهالي مدينة صور اللبنانية (السَّاكِنُونَ بِهَا) أورشليم (كَانُوا يَأْتُونَ بِسَمَكٍ وَكُلِّ بِضَاعَةٍ، وَيَبِيعُونَ فِي السَّبْتِ لِبَنِي يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ. فَخَاصَمْتُ عُظَمَاءَ يَهُوذَا

[34]. الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج، الأصحاح ١٦، ١- ٣١.

[35]. الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر إرميا، الأصحاح ١٧، ١٩-٢٧.

[36]. عرضت بعضاً من سيرته ضمن بحث بلعام بن بعور.

وَقُلْتُ لَهُمْ: »مَا هذَا الأَمْرُ الْقَبِيحُ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ وَتُدَنِّسُونَ يَوْمَ السَّبْتِ؟ أَلَمْ يَفْعَلْ آبَاؤُكُمْ هكَذَا فَجَلَبَ إِلهُنَا عَلَيْنَا كُلَّ هذَا الشَّرِّ، وَعَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ؟) يشير إلى ما فعلوه على أيام إرميا كما ذكرنا في المورد السابق.

وكان من نتائج انحرافهم هذا وتمرّدهم أن تسلّط عليهم نبوخذ نصّر، وتم تدمير الهيكل وسبي بني إسرائيل، وبَيْن الموردين قرابة قرن من الزمن: (وَأَنْتُمْ تَزِيدُونَ غَضَبًا عَلَى إِسْرَائِيلَ إِذْ تُدَنِّسُونَ السَّبْتَ«)[37].

بعد أكثر من قرن من النص السابق احتلّ الإسكندر المقدوني[38] الذي احتلّ مساحة شاسعة من أوروبا وآسيا، وينقل لنا النص التالي صورة من صور التمرّد على تشريع يوم السبت على عهد أحد خلفائه: (إِنَّ الإِسْكَنْدَرَ بْنَ فِيلُبُّسَ المَكْدُونِيَّ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ أَرْضِ كِتِّيمَ وَإِيقَاعِهِ بِدَارِيُوسَ مَلِكِ فَارِسَ وَمَادَايَ، مَلَكَ مَكَانَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ عَلَى الْيُونَانِ. ثُمَّ آثَارَ حُرُوبًا كَثِيرَةً، وَفَتَحَ حُصُونًا مُتَعَدِّدَةً، وَقَتَلَ مُلُوكَ الأَرْضِ، وَاجْتَازَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ، وَسَلَبَ غَنَائِمَ جُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، فَسَكَتَتِ الأَرْضُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَرَفَّعَ فِي قَلْبِهِ وَتَشَامَخَ. وَحَشَدَ جَيْشًا قَوِيًّا جِدًّا، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلاَدِ وَالأُمَمِ وَالسَّلاَطِينِ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِ الْجِزْيَةَ. وَبَعْدَ ذلِكَ انْطَرَحَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَأَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بِالْمَوْتِ، فَدَعَا عَبِيدَهُ الْكُبَرَاءِ الَّذِينَ نَشَأُوا مَعَهُ مُنْذُ الصِّبَاءِ، فَقَسَمَ مَمْلَكَتَهُ بَيْنَهُمْ فِي حَيَاتِهِ. وَكَانَ مُلْكُ الإِسْكَنْدَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ. فَتَمَلَّكَ عَبِيدُهُ كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ، وَلَبِسَ كُلٌّ مِنْهُمْ التَّاجَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَكَذلِكَ بَنُوهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ سِنِينَ كَثِيرَةً، فَكَثُرَتِ الشُّرُورُ فِي الأَرْضِ. وَخَرَجَتْ مِنْهُمْ جُرْثُومَةٌ أَثِيمَةٌ، هِيَ أَنْطِيُوكُسُ الشَّهِيرُ ابْنُ أَنْطِيُوكُسَ الْمَلِكِ، وَكَانَ رَهِينَةً فِي رُومِيَةَ، وَمَلَكَ فِي السَّنَةِ الْمِئَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ مِنْ دَوْلَةِ الْيُونَانِ. وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ مِنْ إِسْرَائِيلَ أَبْنَاءٌ مُنَافِقُونَ، فَأَغْرَوْا كَثِيرِينَ قَائِلِينَ: »هَلُمَّ نَعْقِدْ عَهْدًا مَعَ الأُمَمِ حَوْلَنَا فَإِنَا مُنْذُ انْفَصَلْنَا عَنْهُمْ لَحِقَتْنَا شُرُورٌ كَثِيرَةٌ«. فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عُيُونِهِمْ. وَبَادَرَ نَفَرٌ مِنَ الشَّعْبِ، وَذَهَبُوا إِلَى الْمَلِكِ، فَأَطْلَقَ لَهُمْ أَنْ يَصْنَعُوا بِحَسَبِ أَحْكَامِ الأُمَمِ. فَابْتَنَوْا

[37]. الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر نحميا، الأصحاح ١٣، ١٥-١٨.

[38]. أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ. وُلد الإسكندر في مدينة پيلا قرابة سنة 356 ق.م، وتتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعه السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، والتي امتدت من سواحل البحر الأيوني غربًا وصولاً إلى سلسلة جبال الهمالايا شرقًا. توفي الإسكندر في قصر نبوخذنصَّر ببابل، في العاشر أو الحادي عشر من يونيو سنة 323 ق.م، وله من العمر اثنان وثلاثون سنة.

مَدْرَسَةً فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى حَسَبِ سُنَنِ الأُمَمِ. وَعَمِلُوا لَهُمْ غُلْفًا وَارْتَدُّوا عَنِ الْعَهْدِ الْمَقْدِسِ، وَمَازَجُوا الأُمَمَ وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِصَنِيعِ الشَّرِّ. وَلَمَّا اسْتَتَبَّ الْمُلْكُ لأَنْطِيُوكُسَ، أَزْمَعَ عَلَى امْتِلاَكِ مِصْرَ لِيَكُونَ مَالِكًا عَلَى كِلْتَا الْمَمْلَكَتَيْنِ، فَدَخَلَ مِصْرَ بِجَيْشٍ كَثِيفٍ وَعَجَلاَتٍ وَفِيَلَةٍ وَفُرْسَانٍ وَأُسْطُولٍ عَظِيمٍ. وَأَثَارَ الْحَرْبَ عَلَى بَطْلُمَاوُسَ مَلِكِ مِصْرَ، فَارْتَاعَ بَطْلُمَاوُسُ مِنْ وَجْهِهِ وَهَرَبَ، وَسَقَطَ قَتْلَى كَثِيرُونَ. فَاسْتَحْوَذُوا عَلَى الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ بِأَرْضِ مِصْرَ وَسَلَبُوا غَنَائِمَ أَرْضِ مِصْرَ. وَرَجَعَ أَنْطِيُوكُسُ بَعْدَمَا أَوْقَعَ بِمِصْرَ، وَذلِكَ فِي السَّنَةِ الْمِئَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالأَرْبَعِينَ، وَنَهَضَ نَحْوَ إِسْرَائِيلَ. فَصَعِدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِجَيْشٍ كَثِيفٍ، وَدَخَلَ الْمَقْدِسَ بِتَجَبُّرٍ، وَأَخَذَ مَذْبَحَ الذَّهَبِ، وَمَنَارَةَ النُّورِ مَعَ جَمِيعِ أَدَوَاتِهَا، وَمَائِدَةَ التَّنْضِيدِ، وَالْمَسَاكِبَ وَالْجَامَاتِ وَمَجَامِرَ الذَّهَبِ وَالْحِجَابَ وَالأَكَالِيلَ وَالْحِلْيَةَ الذَّهَبِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْهَيْكَلِ وَحَطَّمَهَا جَمِيعًا. وَأَخَذَ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ وَالآنِيَةَ النَّفِيسَةَ، وَأَخَذَ مَا وَجَدَ مِنَ الْكُنُوزِ الْمَكْنُونَةِ أَخَذَ الْجَمِيعَ وَانْصَرَفَ إِلَى أَرْضِهِ. وَأَكْثَرَ مِنَ الْقَتْلِ وَتَكَلَّمَ بِتَجَبُّرٍ عَظِيمٍ. فَكَانَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي إِسْرَائِيلَ فِي كُلِّ أَرْضِهِمْ، وَانْتَحَبَ الرُّؤَسَاءُ وَالشُّيُوخُ وَخَارَتِ الْعَذَارَى وَالْفِتْيَانُ وَتَغَيَّرَ جَمَالُ النِّسَاءِ، وَكُلّ عَرُوسٍ اتَّخَذَ مَرْثَاةً، وَالْجَالِسَةُ فِي الْحَجَلَةِ عَقَدَتْ مَنَاحَةً.فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ عَلَى سُكَّانِهَا، وَجَمِيعُ آلِ يَعْقُوبَ لَبِسُوا الْخِزْيَ. وَبَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنَ الأَيَّامِ، أَرْسَلَ الْمَلِكُ رَئِيسَ الْجِزْيَةِ إِلَى مُدُنِ يَهُوذَا، فَوَفَدَ عَلَى أُورُشَلِيمَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، وَخَاطَبَهُمْ خِطَابَ سَلاَمٍ مَكْرًا فَوَثِقُوا بِهِ، ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَجْأَةً، وَضَرَبَهَا ضَرْبَةً عَظِيمَةً، وَأَهْلَكَ شَعْبًا كَثِيرًا مِنْ إِسْرَائِيلَ، وَسَلَبَ غَنَائِمَ الْمَدِينَةِ وَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ، وَهَدَمَ بُيُوتَهَا وَأَسْوَارَهَا مِنْ حَوْلِهَا، وَسَبَوُا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الْمَوَاشِي، وَبَنَوْا عَلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ سُورًا عَظِيمًا مَتِينًا وَبُرُوجًا حَصِينَةً فَصَارَتْ قَلْعَةً لَهُمْ، وَجَعَلُوا هُنَاكَ أُمَّةً أَثِيمَةً رِجَالًا مُنَافِقِينَ، فَتَحَصَّنُوا فِيهَا، وَوَضَعُوا فِيهَا السِّلاَحَ وَالطَّعَامَ وَجَمَعُوا غَنَائِمَ أُورُشَلِيمَ، وَوَضَعُوهَا هُنَاكَ فَصَارُوا لَهُمْ شَرَكًا مُهْلِكًا، وَكَانَ ذلِكَ مَكْمَنًا لِلْمَقْدِسِ، وَشَيْطَانًا خَبِيثًا لإِسْرَائِيلَ عَلَى الدَّوَامِ، فَسَفَكُوا الدَّمَ الزَّكِيّ حَوْلَ الْمَقْدِسِ وَنَجَّسُوا الْمَقْدِسِ. فَهَرَبَ أَهْلُ أُورُشَلِيمَ بِسَبَبِهِمْ، فَأَمْسَتْ مَسْكِنَ غُرَبَاءَ وَصَارَتْ غَرِيبَةً لِلْمَوْلُودِينَ فِيهَا، وَأَبْنَاؤُهَا هَجَرُوهَا. وَرَدَّ مَقْدِسُهَا خَرَابًا كَالْقَفْرِ، وَحُوِّلَتْ أَعْيَادُهَا مَنَاحَةً وَسُبُوتُهَا عَارًا وَعِزُّهَا اضْمِحْلاَلًا. وَعَلَى قَدْرِ مَجْدِهَا أُكْثِرَ هَوَانُهَا، وَرِفْعَتُهَا آلَتْ إِلَى مَنَاحَةٍ. وَكَتَبَ الْمَلِكُ أَنْطِيُوكُسُ إِلَى مَمْلَكَتِهِ كُلِّهَا بِأَنْ يَكُونُوا جَمِيعُهُمْ شَعْبًا وَاحِدًا، وَيَتْرُكُوا كُلُّ وَاحِدٍ سُنَنَهُ. فَأَذْعَنَتِ الأُمَمُ بِأَسْرِهَا لِكَلاَمِ الْمَلِكِ. وَكَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ ارْتَضَوْا دِينَهُ) أي الوثنية (وَذَبَحُوا لِلأَصْنَامِ، وَدَنَّسُوا السَّبْتَ.

وَأَنْفَذَ الْمَلِكُ كُتُبًا عَلَى أَيْدِي رُسُلٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَمُدُنِ يَهُوذَا، أَنْ يَتْبَعُوا سُنَنَ الأَجَانِبِ فِي الأَرْضِ. وَيَمْتَنِعُوا عَنِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبِيحَةِ وَالسَّكِيبِ[39] فِي الْمَقْدِسِ، وَيُدَنِّسُوا السُّبُوتَ وَالأَعْيَادَ، وَيُنَجِّسُوا الْمَقَادِسَ وَالْقِدِّيسِينَ، وَيَبْتَنُوا مَذَابِحَ وَهَيَاكِلَ وَمَعَابِدَ لِلأَصْنَامِ، وَيَذْبَحُوا الْخَنَازِيرَ وَالْحَيَوَانَاتِ النَّجِسَةَ، وَيَتْرُكُوا بَنِيهِمْ قُلْفًا، وَيُقَذِّرُوا نُفُوسَهُمْ بِكُلِّ نَجَاسَةٍ وَرِجْسٍ، حَتَّى يَنْسَوُا الشَّرِيعَةَ وَيُغَيِّرُوا جَمِيعَ الأَحْكَامِ. وَمَنْ لاَ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَى كَلاَمِ الْمَلِكِ يُقْتَلْ. وَكَتَبَ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ كُلِّهِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ بِأَسْرِهَا، وَأَقَامَ رُقَبَاءَ عَلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ، وَأَمَرَ مَدَائِنَ يَهُوذَا بِأَنْ يَذْبَحُوا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ. فَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ كَثِيرُونَ مِنَ الشَّعْبِ، كُلُّ مَنْ نَبَذَ الشَّرِيعَةَ فَصَنَعُوا الشَّرَّ فِي الأَرْضِ، وَأَلْجَأُوا إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمُخْتَبَآتِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَرُّوا إِلَيْهِ)[40].

• القصة في مرويات المسلمين:

روى المسلمون في كتب التفسير والحديث والتاريخ حول هذه القصة روايات كثيرة تضاربت في مضامينها، ولم تعتمد على أساس متين يمكن الركون إليه في تصديق تفاصيلها، وسأكتفي بعرض بعض النماذج التي تفي للدلالة على الغرض، مع ملاحظة ترتيب العرض وفقاً للتدرّج في توسّع القصة في تلك المرويات، والتنبيه بخصوص الموارد التي تتضح فيها مخالفة الظاهر القرآني.

○ الرواية الأولى: (أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} قال: هي قرية على شاطيء البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة، فحرَّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، فكانت تأتيهم يوم سبتهم شُرّعاً في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمكثوا كذلك ما شاء الله، ثم إنّ طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة فلم يزدادوا إلا غيّاً. فقالت طائفة من النهاة: تعلَمون أن هؤلاء قومٌ قد حَقَّ عليهم العذاب {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُم} وكانوا أشد غضباً من الطائفة الأخرى، وكلٌّ قد كانوا ينهون، فلما وقع عليهم غضب الله نجت

[39]. السكيب »مشتق من سكب« وهو عبارة عن خمر كان يُسكب في القدس بمقدار معيّن مع طقوس تقديم القرابين لدى اليهود. وقد عرف الوثنيون السكيب من قبل، حيث كانوا يسكبون مقداراً من الدم مع القربان الذي يقدّمونه لآلهتهم.

[40]. الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر المكابيين الأول، الأصحاح١، ١-٥٦.

الطائفتان اللتان قالتا: {لِمَ تَعِظُونَ} والذين قالوا {مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم}، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة)[41].

لا نجد في هذه الرواية ما يَخرج عن ظاهر سياق القصة القرآنية إلا من حيث تحديد اسم القرية، وتبرئة الفئة الثانية وعدم شمولها بالعذاب، على الرغم من أن ظاهر الآيات القرآنية أنهم كانوا من المشمولين.

○ الرواية الثانية: (وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَة...} الآية. قال: إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم يوم الجمعة، فخالفوا إلى السبت فعظَّموه وتركوا ما أُمروا به) دخل هنا عنصر جديد في القصة لا دليل عليه من القرآن، كما وليس بالضرورة أن يكون اليوم الذي خصّصه الله »عز وجل« لعبادته في كل الشرائع هو يوم واحد، أي يوم الجمعة، وقد مرّ بنا سابقاً التعرّض لذلك في بيان قوله »تعالى«: {إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[42]، ولكن هكذا شاء الراوي أن يُضيف عنصراً من عنده تحقيقاً لمزيد من الإثارة، وإظهاراً للعلم، أو تلاعباً في مدلول القصة القرآنية، لاسيما وأن النصوص العديدة ومن بينها ظاهر قوله »عز وجل«: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا، فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}[43] تؤكّد على أن تشريع السبت كان قائماً منذ عهد النبي موسى »عليه السلام« وليس هو من مبتدعات أصحاب تلك القرية أو مَن سبقهم، فارتباط رفع الطور مع أخذ الميثاق منهم، وفي ضمنه ميثاق السبت – كما في الآية – خير دليل على ذلك، وقد تعرّضْتُ إلى موضوع رفع الطور في الجزء الأول من الكتاب.

---

[41]. السيوطي: الدر المنثور، ج٣، ص ٢٥١-٢٥٢.

[42]. سورة النحل:١٢٣-١٢٤.

[43]. سورة النساء:١٥٤-١٥٥.

وكما فعل هذا الراوي، قام آخر مجهول بنسبة هذا القول إلى الإمام جعفر الصادق »عليه السلام«، ففي علل الشرائع: (.... عن رجل، عن أبي عبد الله »عليه السلام« قال: إن اليهود أُمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا يوم الجمعة وأمسكوا يوم السبت، فحُرِّم عليهم الصيد يوم السبت)[44].

نعود من جديد إلى رواية ابن عباس حول القصة: (فلما ابتدعوا السبت ابتُلوا فيه) اختُبِروا فيه (فحُرِّمت عليهم الحيتان، وهي قرية يقال لها مدين بين أيلة والطور، فكانوا إذا كان يوم السبت شَرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تُرَ حتى مثله من السبت المقبل، فإذا جاء السبت عادت شُرّعاً. ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فحزمه بخيط ثم ضرب له وتداً في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد جاء فأخذه فأكله سرّاً) بحسب هذه الرواية فإن هذا التصرّف كان بداية المخالفة، ولا نعلم مِن أين جاء ابن عباس أو مَن وضع الرواية على لسانه بهذا التفصيل؟ (ففعلوا ذلك وهم ينظرون لا يتناهون إلا بقية منهم، فنهوهم حتى إذا ظهر ذلك في الأسواق علانية قالت طائفة للذين ينهونهم {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} قالوا {قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ} في سخطنا أعمالهم (ففعلوا ذلك وهم ينظرون لا يتناهون إلا بقية منهم، فنهوهم حتى إذا ظهر ذلك في الأسواق علانية قالت طائفة للذين ينهونهم {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} قالوا {مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ} في سخطنا أعمالهم {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}. فكانوا أثلاثاً. ثلثاً نهى، وثلثاً قالوا {لِمَ تَعِظُونَ} وثلثاً أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم) وهذا أوفق بظاهر الآيات من الرواية الأولى(فأصبح الذين نهوا ذات غداة في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم، وقد باتوا من ليلتهم وغلّقوا عليهم دورهم، فجعلوا يقولون: إن للناس شأناً فانظروا ما شأنهم) أي أن الوضع غير طبيعي إذ لم يخرجوا من بيوتهم كالمعتاد ويستدعي التحقق (فاطّلعوا في دورهم فإذا القوم قد مُسِخوا ! يعرفون الرجل بعينه وإنّه لَقِرد، والمرأة بعينها، وإنها لقِردة)[45] وهذه إضافة من عند الرواي، وهي وإن كانت لا تتعارض والقصة القرآنية إلا أن المجيء بها هنا لا دليل عليه.

---

[44]. الشيخ الصدوق: علل الشرائع، ص35.

[45]. السيوطي: الدر المنثور، ج٣، ص٢٥٢.

ولو قارنا بين الروايتين نعرف أننا أمام قُصّاص بدأوا يطوّرون القصة على لسان ابن عباس بصورة تدريجية،فلاحظ كيف تطوّرت في مرحلة لاحقة.

○ الرواية الثالثة: (وأخرج عبدُ بنُ حميد عن عكرمة) اعتدنا أن يروي عكرمة عن ابن عباس، فمن المحتمل أنه يرويها عنه هنا أيضاً وإن لم يذكر اسمه (قال: كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة، وكان على ساحل البحر صنمان من حجارة مستقبِلان الماء، يقال لأحدهما لقيم والآخر لقمانة، فأوحى الله إلى السمك، أن حج يوم السبت إلى الصنمين، وأوحى إلى أهل القرية: أني قد أمرت السمك أن يحجّوا إلى الصنمين يوم السبت فلا تعرضوا للسمك يوم لا يمتنع منكم، فإذا ذهب السبت فشأنكم به فصيدوه) دخلت هنا تفاصيل جديدة تُضيف المزيد من الإثارة على القصة، وهي ليست إلا من بنات خيال الراوي القاص، وبحسب القصة القرآنية لا علاقة لأية أصنام بالاختبار الإلهي وبما سيجري على القوم، وهل يُغري الله الناس بالاعتقاد بكرامة للأصنام ويوهمهم بذلك لكي ينحرفوا عن التوحيد وبوحي منه؟ (فكان إذا طلع الفجر يوم السبت أقبل السمك شُرّعاً إلى الصنمين لا يمتنع مِن آخذٍ يأخذه، فظهر يوم السبت شيء من السمك في القرية فقالوا: نأخذه يوم السبت فنأكله يوم الأحد، فلما كان يوم السبت الآخر ظهر أكثر من ذلك، فلما كان السبت الآخر ظهر السمك في القرية، فقام إليهم قوم منهم فوعظوهم فقالوا: اتقوا الله. فقام آخرون فقالوا {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}. فلما كان سبت من تلك الأسبات فشى السمك في القرية، فقام الذين نَهوا عن السوء فقالوا: لا نبيت معكم الليلة في هذه القرية. فقيل لهم: لو أصبحتم فانقلبتم بذراريكم ونسائكم. قالوا: لا نبيت معكم الليلة في هذه القرية، فإن أصبحنا غدونا فأخرجنا ذرارينا وأمتعتنا من بين ظهرانيكم، وكان القوم شاتين) كل هذه التفاصيل إضافات من قبل الراوي زيد بها على الرواية الثانية، ولا دليل عليها (فلما أمسوا أغلقوا أبوابهم، فلما أصبحوا لم يَسمع القوم لهم صوتاً ولم يَروا سِرجاً خرج من القرية...! قالوا: قد أصاب أهل القرية شر...! فبعثوا رجلاً منهم ينظر إليهم، فلما أتى القرية إذا الأبواب مغلّقة عليهم، فاطّلع في دار فإذا هم قرود كلهم، المرأة أنثى والرجل ذكر، ثم اطّلع في دار أخرى فإذا هم كذلك، الصغير صغير والكبير كبير) هذه إضافة لم نجدها في الرواية الثانية، ثم يسترسل الرواي بإضافة المزيد من التفاصيل من جيبه (ورجع إلى القوم فقال: يا قوم نزل بأهل القرية ما كنتم

تحذرون، أصبحوا قردة كلهم لا يستطيعون أن يفتحوا الأبواب، فدخلوا عليهم فإذا هم قردة كلهم، فجعل الرجل يوميء إلى القرد منهم أنت فلان، فيومىء برأسه: نعم. وهم يبكون فقالوا: أبْعَدَكم الله! قد حذّرناكم هذا، ففتحوا لهم الأبواب فخرجوا فلحقوا بالبرِّيَّة)[46].

○ الرواية الرابعة: قال القرطبي: (ورُوي في قصص هذه الآية أنها كانت في زمن داود »عليه السلام«، وأنّ إبليس أوْحَى إليهم فقال: إنما نُهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتّخَذوا الحياض؛ فكانوا يسوقون الحِيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها، فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء، فيأخذونها يوم الأحد)[47]. وهذا التفصيل لم نجده في الروايات السابقة، ولا نعلم مَن الراوي وعمّن أخذ الرواية.

○ الرواية الخامسة: (وروى أشهب عن مالك قال: زعم ابن رُومان[48]) وفي هذا التعبير ما لا يخفى من عدم قناعة مالك بما قال لمجهولية المصدر (أنهم كانوا يأخذ الرجل خيطاً ويضع فيه وَهَقة) الحبل في أَحد طرفيه أُنشوطةٌ يُطْرح في عنق الدَّابة حتى تؤخَذَ (وألقاها في ذنَب الحوت، وفي الطرف الآخر من الخيط وَتِد وتركه كذلك إلى الأحد، ثم تطرّق الناس حين رأُوا مَن صنع هذا لا يُبْتَلى، حتى كثُرَ صيد الحوت، ومُشي به في الأسواق، وأعلن الفَسَقة بصيده) أي جاهروا بذلك (فقامت فرقة من بني إسرائيل ونهت، وجاهرت بالنهي واعتزلت. وقيل: إن الناهين قالوا: لا نساكنكم؛ فقسّموا القرية بجدار) هذه إضافة جديدة (فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن للناس لشأناً؛ فعلَوْا على الجدار فنظروا فإذا هم قِردة، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم، فعرفت القِردة أنسابَها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابهم من القِردة فجعلت القِردة تأتي نسيبها من الإنس فَتَشُم ثيابه وتبكي) اختلفت التفاصيل هنا عن رواية سابقة، ومن الواضح أن الراوي أراد أن يضفي بعداً عاطفياً على هذا المشهد (فيقول: ألم ننهكم! فتقول برأسها نعم. قال

---

[46]. السيوطي: الدر المنثور، ج٣، ص ٢٥٣.

[47]. القرطبي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٢١٩.

[48]. وقد قال ابن عبدالبر في »التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد«: (أبو روح يزيد بن رومان الأسدي مولى الزبير بن العوام، كان أحد قراء أهل المدينة، وكان عالماً بمغازي رسول الله »صلى الله عليه وسلم«، وكان ثقة سكن المدينة، وبها كانت وفاته سنة ثلاثين ومائة).

قتادة: صار الشبان قردةً والشيوخ خنازير) هذه إضافة تخالف ما في القرآن من أن الله قال لهم كونوا قردة خاسئين (فما نجا إلا الذين نَهَوْا، وهلك سائرهم)[49].

○ الرواية السادسة: قال القرطبي في بيان تفاصيل أخرى عمَد مِن خلالها إلى تحديد عدد كل فئة من الفئات الثلاث التي انقسم إليها مجتمع تلك القرية: (وقال جمهور المفسرين: إن بني إسرائيل افترقت ثلاث فِرَق، وهو الظاهر من الضمائر في الآية. فرقة عَصَتْ وصادت، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً. وفرقة نَهَت واعتزلت، وكانوا اثنَيْ عشر ألفاً. وفرقة اعتزلت ولم تَنْهَ ولم تَعْص)[50] ولم يحدّدوا عددهم.

○ الرواية السابعة: عن الإمام علي زين العابدين »عليه السلام« أنه قال: (فكانوا في المدينة نيفاً وثمانين ألفاً، فعل هذا منهم سبعون ألفاً، وأنكر عليهم الباقون)[51]. ومضمونها قريب من مضمون ما نقله القرطبي عن جمهور المفسرين، ولم تثبت صحة نسبة هذا التفسير الموجود بأيدي الناس إلى الإمام الحسن العسكري »عليه السلام«. قال السيد أبوالقاسم الخوئي: (التفسير المنسوب إلى العسكري »عليه السّلام« لم يثبت بطريق قابل للاعتماد عليه، فإن في طريقه جملة من المجاهيل كمحمّد بن القاسم الاسترابادي، ويوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، فليلاحظ هذا إذا أريد بالتفسير المنسوب إلى العسكري »عليه السّلام« هو الّذي ذكره الصدوق »قدّس سرّه« بإسناده عن محمد بن القاسم الاسترابادي، والظاهر أنه مجلّد واحد كما لا يخفى على من لاحظ التفسير الموجود بأيدينا اليوم. وأما لو أريد به هو الّذي ذكره محمّد بن علي بن شهرآشوب على ما نقله في المستدرك، فالسند إليه صحيح، لأنه ذكر الحسن بن الخالد البرقي أخو محمد بن خالد من كتبه تفسير العسكري من إملاء الإمام »عليه السّلام«، والحسن بن خالد ممن وثّقه النجاشي. وللمشايخ إليه طرق صحيحة، إلاّ أن الظاهر أنه غير التفسير الّذي ذكره الصدوق بإسناده عن

---

[49]. القرطبي: جامع الأحكام، ج١، ص ٢٩٩.

[50]. القرطبي: جامع الأحكام، ج٧، ص ٣٠٧.

[51]. العسكري: تفسير الإمام العسكري، ص ٢٦٩.

محمد بن القاسم الاسترابادي، لأنه نقل أن التفسير الذي عُدّ مِن كتب البرقي مائة وعشرون مجلداً، وهذا لم يصل إلينا أبداً، وإنما الموجود بأيدينا مجلّد واحد يتطابق لما نقله الصدوق »قدّس سرّه«)[52].

○ الرواية الثامنة: في تفسير ابن كثير روايات أخرى تضمنت تفاصيل لم تذكرها الروايات السابقة، ومن بينها الرواية التالية التي تمثّل حواراً بين عكرمة وبين سيّده ابن عباس، ولا ندري هل اخترع عكرمة هذا الحوار كما هي عادته، أم الرجل المجهول الذي روى عنه، أم ابن جُريج[53]: (قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج، حدثني رجل عن عكرمة قال: جئتُ ابنَ عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حِجْره، فأعظمْتُ أنْ أدنو منه، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمتُ فجلست، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك؟ قال: فقال: هؤلاء الورقات. قال: وإذا هو في سورة الأعراف، قال: تعرف أيلة؟ قلت: نعم، قال: فإنه كان بها حي من اليهود) هذا تفصيل جديد حيث لم تذكر الروايات السابقة أن اليهود يشكّلون جزء فقط من أبناء القرية (سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت، لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كَدّ ومؤنة شديدة) أيضاً لا نجد هذا التفصيل في الروايات السابقة (كانت تأتيهم يوم سبتهم شُرّعاً بيضاء سماناً، كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم) الماخض: الحامل كبيرة البطن التي يأتيها المخاض وهو تفصيل آخر جديد (فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نُهِيتُهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام. فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة: بل نُهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت. فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحّت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت، وقال الأيمنون ويلكم، اللهَ اللهَ، ننهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله، وقال الأيسرون {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً

---

[52]. الخوئي: كتاب الاجتهاد والتقليد من التنقيح في شرح العروة الوثقى، ص٢٢١.

[53]. في سير أعلام النبلاء للذهبي: (قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن جريج: لمن طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي. غير أن ابن جريج فإنه قال: طلبته للناس. قلت: ما أحسن الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لمن طلبت العلم؟ فيبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب، إنما طلبه للدنيا، ويا قلة ما عرف منه) ولا أدري هل في عدم الإخلاص لله مديح أم اكتفى الوليد بالصدق منقبة؟ وفي سير أعلام النبلاء للذهبي: (قلت: الرجل في نفسه ثقة، حافظ، لكنه يدلّس بلفظة »عن« و »قال«)! وقد ذكرت في الجزء الأول من الكتاب أن المكثرين في النقل عن الإسرائيليات على ثلاث مراتب، المرتبة الأولى: المكثرون جداً ومنهم ابن جريج.

شَدِيدًا} قال الأيمنون {مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} أي ينتهون، إن ينتهوا فهو أحب إلينا أن لا يُصابوا ولا يَهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم) هذه التقسيمة إلى اليمين واليسار والكلمات المنقولة على ألسنتهم كلها إضافات من عند مخترع الرواية (فمضوا على الخطيئة، وقال الأيمنون: فقد فعلتم يا أعداء الله، والله لا نبايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تُصبحون حتى يُصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب. فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب، ونادوا فلم يُجابوا، فوضعوا سلّماً) إضافة جديدة (وأعلَوا سور المدينة رجلاً، فالتفت إليهم، فقال: أي عباد الله، قردة – والله – تعادي تعاوي لها أذناب) وهذه أيضاً إضافات جديدة (قال ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القرود أنسابها من الإنس... إلخ)[54].

○ الرواية التاسعة: ونقل ابن كثير رواية ابن رومان التي مضت بعنوان »الرواية الخامسة« ولكن بتفاصيل أخرى حول شواء السمك، والحوار بين أوّل شخص تعدّى وبين بعض أهل القرية: (قال: كانت تأتيهم يوم السبت، فإذا كان المساء ذهبَت، فلا يُرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر، فاتخذ لذلك رجل خيطاً ووتداً، فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجد الناس ريحه، فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم) فأنكر معرفته بشيء (فلم يزالوا به حتى قال لهم: فإنه جلد حوت وجدناه. فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك، ولا أدري لعله قال: ربط حوتين، فلما أمسى من ليلة الأحد، أخذه فاشتواه، فوجدوا رائحة فجاؤوا فسألوه فقال لهم: لو شئتم صنعتم كما أصنع، فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم، ففعلوا مثل ما فعل، حتى كَثُر ذلك. وكانت لهم مدينة لها رَبَض) ما يشبه السور (يغلقونها عليهم، فأصابهم من المسخ ما أصابهم.... إلخ)[55].

○ الرواية العاشرة: عن عكرمة عن ابن عباس: (.... ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزم أنفه، ثم ضرب له وتداً في الساحل، وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله) وذِكر خَزْم الأنف لم يرد من قبل

[54]. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٢٣٥-٢٣٦.

[55]. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٢٣٦.

(فعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهاه منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الأسواق، ففُعل علانية.... إلخ)[56].

○ الرواية الحادية عشرة: أما في تفاسير الشيعة الإمامية فنجد الرواية التالية المروية في تفسير علي بن إبراهيم القمي أنه قال: (حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي بن رياب عن أبي عبيدة عن أبي جعفر »عليه السلام« قال: وجدنا في كتاب علي »عليه السلام« أن قوماً من أهل أيكة من قوم ثمود) فهم بذا ليسوا من بني إسرائيل، ولا نعلم كيف سبق النبي موسى ثمود في الترتيب الزمني، وما علاقة تشريع السبت بثمود، وهذا حتماً مخالف لظاهر الآيات القرآنية (وإن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك، فشرعت إليهم يوم سبتهم في ناديهم وقدّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها) هذه إضافة لم نجدها في الروايات السابقة (فلبثوا في ذلك ما شاء الله، لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها.... إلخ)[57].

وذكرت في بداية الكتاب تحت عنوان »مسائل مهمة« أن نسبة هذه النسخة المتداولة من التفسير لعلي بن إبراهيم القمي غير ثابتة.

○ الرواية الثانية عشرة: وفي رواية أخرى في نفس الكتاب تفصيل جديد، ولكن الرواية عن أبي الجارود وليست منسوبة لعلي بن إبراهيم القمي: (وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر »عليه السلام«..... إن أصحاب السبت قد كان أملى الله لهم حتى أثْروا وقالوا: إن السبت لنا حلال، وإنما كان حُرِّم على أولينا، وكانوا يعاقَبون على استحلالهم السبت، فأما نحن فليس علينا حرام، وما زلنا بخير منذ استحللنا، وقد كثرت أموالنا وصحّت أبداننا، ثم أخذهم الله ليلاً وهم غافلون)[58].

---

[56]. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٢٣٦.

[57]. القمي: تفسير القمي، ج١، ص ٢٤٤.

[58]. القمي: تفسير القمي، ج١، ص ١٨١.

وهي بذا تتعارض مع رواية أخرى في نفس الكتاب ولكن مروية عن القمي وفيها أن التشريع كان يخصّ الجمعة، وأن هؤلاء القوم هم الذين بدّلوه إلى السبت.

○ الرواية الثالثة عشرة: وفيها ما يخالف ظاهر القصة القرآنية حيث توسّعت في المسخ: (.... عن الكلبي النسابة قال: سألت أبا عبد الله »عليه السلام« عن الجِرّي؟ فقال: إن الله »عز وجل« مسَخ طائفة من بني إسرائيل، فما أخذ منهم بحراً فهو الجرّي والزمّير والمارماهي وما سوى ذلك، وما أخذ منهم براً فالقردة والخنازير والوبَر والورل وما سوى ذلك)[59].

○ الرواية الرابعة عشرة: وهي رواية مرسلة وردت في تفسير العياشي عن هارون بن عبد العزيز رفعه إلى أحدهم »عليهم السلام«، وفي مضمونها ما يُضحك الثكلى، قال: (جاء قوم إلى أمير المؤمنين »عليه السلام« بالكوفة وقالوا له: يا أمير المؤمنين، إن هذه الجراري) جمع جرّي[60] (تباع في أسواقنا، قال: فتبسّم أمير المؤمنين »عليه السلام« ضاحكاً ثم قال: قوموا لأريكم عجباً، ولا تقولوا في وصيّكم إلا خيراً. فقاموا معه فأتوا شاطئ الفرات فتفل فيه تفلة وتكلّم بكلمات فإذا بجرّيثة رافعة رأسها، فاتحة فاها، فقال له أمير المؤمنين »عليه السلام«: مَن أنت؟ الويل لك ولقومك! فقال: نحن من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يقول الله في كتابه: {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً} الآية) يا لها من سمكة تحفظ القرآن! (فعرض الله علينا ولايتك فقعدنا عنها، فمسَخنا الله) ما بعد هذا التحريف للقصة القرآنية من تحريف، فقد بزّ به الواضع كل مَن سبقه ومَن جاء بعده (فبعضُنا في البر وبعضنا في البحر، فأما الذين في البحر فنحن الجراري، وأما الذين في البر فالضب واليربوع. قال: ثم التفت أمير المؤمنين إلينا فقال: أسمعتم مقالتها؟ قلنا: اللهم نعم) لم يكتف

---

[59]. الكليني: الفروع من الكافي، ج٢، ص١٤٥.

[60]. السلوريات أو القراميط أو أسماك الجري هي رتبة من الأسماك التي تضم الكثير من الأنواع، تتميز هذه الأسماك عن غيرها بأنها تمتلك طبقة عظمية تغطي جلدها بدلاً من القشور والحراشف. تعيش هذه الأسماك في طبقة الماء السفلية،على القاع. يتغذى هذا النوع من الأسماك على الخضر والنباتات والأعشاب بالإضافه إلى الديدان والأسماك الصغيرة وحتى الجرذان الصغيرة.

الكذّاب بهذا القدَر، بل أضاف معلومة لم ولن يسمع بها أحد في علم الأحياء، وكأنّه أراد الإمعان في الاستخفاف بعقول الناس (قال: والذي بعث محمداً بالنبوة لَتحيض كما تحيض نساؤكم)[61].

○ الرواية الخامسة عشرة: وهي مروية في التفسير المنسوب للإمام العسكري »عليه السلام« عن الإمام زين العابدين »عليه السلام« وفيها أن الطريقة التي اعتُمدت للتحايل على التشريع كانت كالتالي: (فتوسّلوا إلى حيلة ليحلّوا بها لأنفسهم ما حرم الله، فخدّوا أخاديد وعملوا طرقاً تؤدّي إلى حياض، يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيأ لها الخروج إذا همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها، فدخلت في الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران، فلما كانت عشية اليوم همّت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن صائدها، فرامت الرجوع فلم تقدر، فبقيت ليلتها في مكان يتهيأ أخذُها بلا اصطياد، لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، فكانوا يأخذونها يوم الأحد، ويقولون: ما اصطدنا في السبت، وإنما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك مالُهم وثراؤهم وتنعّموا بالنساء وغيرهن لاتساع أيديهم به). وفي تتمة الرواية إضافة لم ترد في الروايات السابقة: (فما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله عليهم مطراً وريحاً فجرفتهم إلى البحر، وما بقي مِسخٌ بعد ثلاثة أيام، وأما الذين ترون من هذه المصوَّرات بصورها فإنما هي أشباهها، لا هي بأعيانها ولا مِن نسلها)[62].

○ الرواية السادسة عشرة: ونقل المجلسي رواية عن ابن عباس لم يذكر مصدرها، ثم جاء بتعليق من عنده، دون تمييز بين الرواية والتعليق، فإن كانت تتمة لكلام ابن عباس فهي لم ترد في ما تناولناه من رواياته. والعبارة كالتالي: (قال ابن عباس: فمسَخهم الله عقوبة لهم، وكانوا يتعاوون) هل انتهت رواية المجلسي عن ابن عباس إلى هذا الحد أم أنها اشتملت العبارة التالية؟ (وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثم أهلكهم الله »تعالى«، وجاءت ريح فهبّت بهم فألقتهم في الماء، وما مسخ الله أمة إلا أهلكها) من جديد لا نعلم هل انتهت رواية ابن عباس إلى هنا أم امتدت لتشمل جزءً من العبارة التالية؟ (فهذه القردة والخنازير ليست من

---

[61]. العياشي: تفسير العياشي، ج٢، ص ٣٥.

[62]. العسكري: تفسير الإمام العسكري، ص ٢٦٩-٢٧١.

نسل أولئك) ما بعد هذه العبارة هي من كلام المجلسي حتماً: (ولكن مَسْخ أولئك على صورة هؤلاء يدل عليه إجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والخنازير من هو من أولاد آدم، ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم)[63].

○ الرواية السابعة عشرة: وبخلاف القول ببقائهم ثلاثة أيام، نقل المجلسي قولين آخرين، وعلّق بعد ذلك قائلاً: (وقيل: عاشوا سبعة أيام ثم ماتوا، عن مقاتل، وقيل: إنهم توالدوا، عن الحسن، وليس بالوجه، لأن من المعلوم أن القردة ليست من أولاد آدم، كما أن الكلاب ليست منهم، ووردت الرواية عن ابن مسعود قال: قال رسول الله »صلى الله عليه وآله«: إن الله »تعالى« لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعقباً)[64].

• القصة لدى أهل الكتاب:

عندما نعود إلى الآيات القرآنية سنجد أن الخطاب في المورد الأول والثاني في سورتي الأعراف والبقرة كان موجَّهاً لبني إسرائيل وبالصورة التالية:

○ {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ}.

○ {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ}.

بينما كان الخطاب في المورد الثالث »سورة النساء« للذين أوتوا الكتاب:

○ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ .... أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ}.

وهذا يعني أن القصة لا بد وأن تكون معلومة لدى أهل الكتاب عموماً أو خصوص بني إسرائيل – أو اليهود – منهم، لا سيما بلحاظ قوله »سبحانه تعالى«: {وَاسْأَلْهُمْ} {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ}، وخصوصاً أن كلمة {لَقَدْ} هي في الأصل »قد«، وتفيد التحقيق إذا دخلت على الفعل الماضي، وإدخال اللام عليها يكون بغرض التوكيد. وبالتالي يُفترض أن نجد في نصوص اليهود – على وجه التحديد – ما يدل على هذه القصة،

[63]. المجلسي: بحار الأنوار، ج14، ص 59 .

[64]. المجلسي: بحار الأنوار، ج14، ص ٦٢.

فالمسألة لا تخص تاريخ النصارى، على اعتبار أن الخطاب لما كان موجّهاً لبني إسرائيل، وضمن قصص وأحداث جرت في عهد ما قبل بعثة السيد المسيح »عليه السلام«، فلابد أن تكون هذه القصة ضمن التراث اليهودي، وإن كانت بداية النصرانية قد ظهرت في بيئة بني إسرائيل أيضاً. فهل في العهد القديم »التنخ« ما يشير إلى هذه القصة؟

على الرغم من الخطاب القرآني لبني إسرائيل الدال على علمهم بهذه القصة إلا أننا عندما نقوم بالبحث في العهد القديم لن نصل إلى أي نص يرتبط بهذا الحدث. وقد التفت المفسّر ابن عاشور إلى هذه المسألة، وافترض أن القرآن أشار ضمنياً إلى أنها ليست جزءً من العهد القديم، معتبراً أن وراء إخفاء القصة مِن قبلهم سبباً ما. قال: (غُيّر أسلوب الخبر عن بني إسرائيل هُنا، فابتدىءَ ذِكرُ هذه القصة بطلب أن يسأل سائل بني إسرائيل الحاضرين عنها) حيث كانت الآيات السابقة بصيغة الخبر {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[65].

ثم صارت بصيغة الخطاب للحاضر: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ}، قال: (فنعلم من ذلك أن لهذه القصص الآتية شأناً غير شأن القصص الماضية، ولا أحسب ذلك إلاّ من أجل أن هذه القصة ليست مما كُتب في توراة اليهود ولا في كتب أنبيائهم، ولكنها مما كان مروياً عن أحبارهم، ولذلك افتُتحت بالأمر بسؤالهم عنها، لإشعار يهود العصر النبوي بأن الله أطلع نبيّه »عليه الصلاة والسلام« عليها، وهم كانوا يكتمونها، وذلك أن الحوادث التي تكون مواعظ للأمة فيما اجترحته من المخالفات والمعاصي تبقي لها عَقب الموعظة أثراً قد تُغيَّر الأمة به. ولكن ذلك التعيير لا يؤبَه به في جانب ما يحصل من النفع لها بالموعظة، فالأمة في حُوَيْصتها لا يهتم قادتها ونصحاؤها إلاّ بإصلاح الحال، وإن كان في ذكر بعض تلك الأحوال غضاضة عندها وامتعاض، فإذا جاء حكم التاريخ العام بين الأمم تناولتْ الأمم أحوال تلك الأمة بالحُكم

[65]. سورة الأعراف: ١٥٩-١٦٠.

لها وعليها، فبقيت حوادث فلتاتها مَغمزاً عليها ومَعرّة تُعيّر بها، وكذلك كان شَأن اليهود لما أضاعوا مُلكهم ووطنهم وجاوروا أمماً أخرى فأصبحوا يكتمون عن أولئك الجيرة مَساوي تاريخهم، حتى أرسل الله محمداً »صلى الله عليه وسلم« فعلّمه من أحوالهم ما فيه معجزة لأسلافهم، وما بقي معرّة لأخلافهم، وذلك تَحدّ لهم، ووخز على سوء تلقّيهم الدعوة المحمدية بالمكر والحسد. فالسؤال هنا في معنى التقرير لتقريع بني إسرائيل وتوبيخهم وَعدّ سوابق عصيانهم، أي ليس عصيانهم إياك ببدع، فإن ذلك شنشنة قديمة فيهم. وليس سؤال الاستفادة لأن الرسول »صلى الله عليه وسلم« قد أُعلم بذلك من جانب ربه »تعالى«، وهو نظير همزة الاستفهام التقريري فَوَزان {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} وزان : »أعدوتم في السبت«، فإن السؤال في كلام العرب على نوعين، أشهرهما أن يسأل السائل عما لا يعلمه ليعلمه، والآخر أن يسأل على وجه التقرير حين يكون السائل يعلم حصول المسئول عنه، ويعلم المسئول أن السائل عالم وأنه إنما سأله ليقرره)[66].

وسبقه القرطبي قائلاً: (وكان اليهود يكتمون هذه القصة لما فيها من السُّبّة عليهم)[67].

ولو افترضنا أننا لم نجد شيئاً عن القصة ضمن التراث اليهودي المدوّن خارج العهد القديم »التنخ« نفسه، فإن هذا سيجعلنا نقول أن القصة كانت من التراث الشفوي الذي كان يتم تداوله من جيل إلى جيل دون الجرأة على تدوينه كتابياً، بل ولربما أخفوه مع ما أخفوه من أمور أخرى كما قال »سبحانه« عن سلوكهم هذا: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[68].

ولكن قبل البتّ في الأمر لابد أن نبحث في الدائرة الأكبر من العهد القديم، بما يشمل التلمود وسائر المصادر المدوّنة قدر المستطاع، ومن خلال الوسائل المتاحة، فهل يمكننا أن نجد شيئاً حينئذ؟

---

[66]. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٩، ص ١٤٦-١٤٧.

[67]. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٩٤.

[68]. سورة الأنعام: ٩١.

تعرّض لهذه المسألة عدد من المستشرقين والباحثين الغربيين ضمن كتاباتهم عن القرآن الكريم أو تراث اليهود في المنطقة العربية. ومن بين مَن كتب في هذا المجال الثلاثي »كارستن شابكو- شمويل شبكارو – آلان ليفنسون«

Carsten Schapkow, Shmuel Shepkaru and Alan Levensonفي مؤلَّف حمل عنوان: The Jews of Arab Lands »يهود الأراضي العربية«[69].

جاء في الفصل الثاني من الكتاب وتحت عنوان »القردة ومعضلة السبت« Apes and the Sabbath Problem[70] أن نتائج التحقيق الأكثر جدوائية بين ما وصل إليه الباحثون الغربيون حول الموضوع ضمن تتبّعهم في المدراش، أي التفاسير والتعليقات على التنخ، هو ما ذكره »هاينريخ سبيير« Heinrich Speyer في كتابه »الروايات التوراتية في القرآن« Die Biblischen Erzählungen im Koran من مقاربة ما بين القصة القرآنية وما جاء في التلمود البابلي في »قدوشين 72أ«.

وبالعودة إلى النص التلمودي المشار إليه سنجد بالعبرية ما جاء كالتالي:

כי הוה ניחא נפשיה דרבי אמר הומניא איכא בבבל כולה עמונאי היא מסגריא איכא בבבל כולה דממזירא היא בירקא איכא בבבל שני אחים יש שמחליפים נשותיהם זה לזה בירתא דסטיא איכא בבבל היום סרו מאחרי המקום דאקפי פירא בכוורי בשבתא ואזיל וצדו בהו בשבתא ושמתינהו ר' אחי ברבי יאשיה ואישתמוד אקרא דאגמא איכא בבבל אדא בר אהבה יש בה.

وترجمة المقطع الذي يهمّنا إلى الإنجليزية هي:

When Rabbi Yehuda HaNasi was dying, he said prophetically: ....There is a [town called] BirtadeSatya in Babylon. Today they

[69]. www.academia.edu/19017618/Apes_and_the_Sabbath_Problem

[70]. ص ٤١-٤٣.

have turned away from the Almighty. A fish-pond overflowed on the Sabbath, so they went and fished in it on the Sabbath. Rabbi Ahi son of R. Yoshia announced a ban [or curse] on them, so they apostatized (or were destroyed) [71].

والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية للنص العبري كالتالي: (عندما كان الحاخام »يهودا هاناسي« يحتضر، قال متنبئاً: .... هناك في بابل –بلدة تسمى– »بيريتا ديساتيا«. اليوم تحوّلوا بعيداً عن الله. ماذا فعلوا؟ فاضت قناة مياه بالأسماك، فذهبوا وحاصروها »نصبوا لها شرَكاً« في يوم السبت. طردهم الحاخام أهاي ابن الحاخام يوشيا، وأصبحوا جميعاً مرتدين). وفي هامش ترجمة هذا النص التلمودي على ذات الموقع وبرقم ٣٧ – وهو يعرض نص التلمود – شرح العبارة الأخيرة أنه تم تدميرهم.

أما في النسخة العربية من التلمود البابلي والمطبوعة في الأردن فقد جاء فيها النص بعيد الدلالة عمّا سبق، وفيه – للأسف – شيء من الغموض: (عندما كان رابي يحتضر قال: هناك قرية في بابل تدعي هومانة..... وهناك »بيرثا دي ساتا« في بابل في هذه الأيام، لقد ضلوا عن درب القدير، وطاف قارب صيد يوم السبت، وذهبوا للصيد يوم السبت، عند ذلك أعلن الحبر »أهي بن الحبر يوسيا« العقوبة عليهم، فقد ارتدّوا عن اليهودية)[72].

وعند ترجمة ما جاء عن »سبيير« نقلاً عن النص التلمودي، وجدت بالمقارنة أن فيه شيئاً من الاختلاف، حيث يذكر أن الربّي بن يوشيا بعد أن اصطادوا السمك في السبت أعلن أن النقمة »أو اللعنة« قد حلّت بهم، فصاروا مرتدّين »أو دُمِّروا«. وذكر المؤلف في الهامش أن بلدة »بيرثا دي ساتا« أو »بيرتا ديساتيا« تقع بالقرب من بغداد دون أن يحدد موقعها الدقيق أو تسميتها المعاصرة.

---

[71]. www.academia.edu/19017618/Apes_and_the_Sabbath_Problem, p41.

[72]. التلمود البابلي: ج10، القسم الثالث نشيم، قدوشين، الفصل الرابع، ص 364.

ومن خلال تتبّع المصادر المختلفة استطعت التوصّل إلى أن هذه البلدة التي كانت تعتبر من مواطن استقرار اليهود في العراق آنذاك تقع بالقرب من مدينة »طيسفون« التاريخية وأصلها »طوسفون«، وتُعرف كذلك باسم »قطيسفون« أو »قطسيفون« وبالفارسية »تيسپون«؛ والتي كانت عاصمة الفرثيين »الأشكانيين« ثم الساسانيين من بعدهم. بُنيت »طيسفون« على الضفة الشرقية لنهر دجلة على بُعد 35 كم جنوب شرق بغداد.

من أشهر معالم هذه المدينة القديمة بناء طاق كسرى أو إيوان كسرى الذي كان مقرّ الحكم الساساني حيث اتّخذت المدينة عاصمة شتوية لحكمهم، بينما جعلوا مدينة »اصطخر« القريبة من »پرسپوليس« عاصمتهم الصيفية حتى الفتح الإسلامي الذي أطاح بالإمبراطورية الساسانية.

وتُعتبر »طيسفون« إحدى مكوّنات مدينة »سلمان باك« حالياً، والتي كانت تُعرف باسم المدائن إذ تكوّنت من مجموعة مدن هي: »طيسفون، وسلوقيا، وميناء أوبيس النهري«، لذلك أطلق عليها العرب تسمية »المدائن« التي يقال أنها كلمة ذات أصل آرامي تعني المدن. وحيث عاش فيها الصحابي سلمان الفارسي بعد أن أصبح والياً عليها مِن قبل الخليفة عمر بن الخطاب، ومات ودُفن فيها، لذلك أخذت المدينة اسمه، حيث باتت تُعرف باسم »سلمان باك« أي سلمان الطاهر.

ومن المعلومات التي وردت في التاريخ حول بلدة »بيرتا ديساتيا« أنه خلال الغزو الذي شنّه الإمبراطور الروماني »جوليان =يوليان« المعروف باسم »يوليان المرتد أو الجاحد« »ت363م« على بلاد بابل وما بين النهرين، حاصر مدينة »طيسفون«، ومن بين العديد من البلدات والقرى التي دمّرها هناك بلدة سكانها من اليهود تُعرف باسم »بيرتا«، أو »بيثرا «Bithra بحسب المؤرخ البيزنطي »سوزومن «Sozomen »ت450م«. كما تم تدمير مدينة »پيروز شاپور«، التي كانت تضم عدداً كبيراً من السكان اليهود[73].

[73]. www.jewishvirtuallibrary.org/babylonia

وذكروا أيضاً أن بلدة »بيرتا« حين دُمِّرت كانت في الأساس قد هُجِرت من قبل سكانها اليهود، ولذا فقد عمد جوليان إلى الانتقام بحرقها[74].

نعود من جديد إلى أصل البحث، حيث جاء في كتاب »يهود الأراضي العربية« أن »سبيير« لم يلحظ وجود إشارة أخرى واردة في التلمود الفلسطيني حول انتهاك السبت عن طريق صيد السمك »شبت7:10«.

كما جاء في هذا النص التلمودي أن ربّيّي – حاخامات – بلدة »قيسارية[75]« اعتبروا أن من يصطاد السمك أو يَقتل أي شيء في يوم السبت فإنه يعدّ مسؤولاً ومحاسباً بسبب هذا الانتهاك للتشريع الخاص بيوم السبت.

وفي سِفر »نحميا« نصاً حول انتهاك السبت بما له علاقة بالسمك، والنص فيه كالتالي: (فِي تِلْكَ الأَيَّامِ رَأَيْتُ فِي يَهُوذَا قَوْمًا يَدُوسُونَ مَعَاصِرَ فِي السَّبْتِ، وَيَأْتُونَ بِحُزَمٍ وَيُحَمِّلُونَ حَمِيرًا، وَأَيْضًا يَدْخُلُونَ أُورُشَلِيمَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ بِخَمْرٍ وَعِنَبٍ وَتِينٍ وَكُلِّ مَا يُحْمَلُ، فَأَشْهَدْتُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَيْعِهِمِ الطَّعَامَ. وَالصُّورِيُّونَ السَّاكِنُونَ بِهَا كَانُوا يَأْتُونَ بِسَمَكٍ وَكُلِّ بِضَاعَةٍ، وَيَبِيعُونَ فِي السَّبْتِ لِبَنِي يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ. فَخَاصَمْتُ عُظَمَاءَ يَهُوذَا وَقُلْتُ لَهُمْ: »مَا هذَا الأَمْرُ الْقَبِيحُ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ وَتُدَنِّسُونَ يَوْمَ السَّبْتِ؟)[76].

ونقل الكتاب عن »سبيير« أيضاً نصاً عن الربّي »إرميا بار/بن أليعازار« أن فكرة مسخ بعض بني إسرائيل إلى قرود ليست غريبة على التراث اليهودي. ففي النص المذكور حول بناء برج بابل يتحدث الكاتب عن انقسام المشاركين في البناء إلى ثلاثة فئات، قسم اختاروا عبادة الأصنام، وقسم اختاروا الصعود وشن حرب – أي ضد الله – والقسم الثالث اختاروا الصعود إلى أعلى البرج والإقامة فيه، وأن الله مسخ القسم الثاني فصاروا قردة.

---

[74]. www.jewishencyclopedia.com/articles/2286-babylonia

[75]. من مدن فلسطين وتبعد عن حيفا 37كم جنوباً. تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط, وهي من أقدم المناطق التي سكنها البشر.

[76]. الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر نحميا، الأصحاح ١٣: ١٦.

ولربما كانت الترجمة التالية لهذا النص التلمودي أفضل بياناً حيث تذكر أنهم انقسموا إلى ثلاث مجاميع:

- قالت الأولى: سنصعد إلى السماء ونضع آلهتنا هناك ونعبدها.
- وقالت الثانية: سنتدفق في السماء حيث الله ونقارن قوتنا بقوته.
- وقالت الثالثة: سنرميه بالرماح والسهام. وأن الفئة الأولى تغيّر مظهرها وأصبحت كالقردة.

They divided into three parties; the first party said: "We will ascend to heaven and place there our gods, and worship them." The second party said: "We will pour into the heavens of the Lord and match our strength with His." And the third party said: "Yea, we will smite Him with arrow and with spear."

According to their deserts did God punish the three rebellious parties. Those who had said, "We will place our gods in the heavens," were changed in appearance, and became like apes; those who had said, "We will smite Him with arrows," killed one another through misunderstandings; and those who had said, "Let us try our strength with His," were scattered over the face of the earth.[77]

وجاء في هامش كتاب »يهود الأراضي العربية« أن المورد الآخر الذي أشار إليه »سبيير« حول مسخ الإنسان إلى قرد في التراث اليهودي ما جاء كتعليقة في كتاب »بريشيت رابا ٢٣ : ٦« على الآية 26 من الأصحاح 4 من سِفر التكوين من التوراة وفيها حول آدم وذريته: (وَلِشِيثَ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أَنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ)[78] حيث سئل الربّي »أبا كوهين باريلا« لماذا ذكر النص آدم فشيث فأنوش ثم سكت؟ فأجاب: (أن الله خلق هؤلاء على صورته، ثم لما ساء الناس تغيرت أربعة أمور:

- أصبحت الجبال صخرية.
- وتكوّنت أكوام الديدان على أجساد الموتى.
- وأصبحت وجوه الناس على هيئة وجوه القردة.
- وصار الناس غير محصّنين أمام الشياطين).

وأضاف لقد جاء هذا التعليق بسبب التوقف المفاجيء في تسلسل النَّسب في الكتاب المقدس حيث توقفت عند »شيث«. ثم تبدأ الآية التالية في الأصحاح الخامس، حيث يعود النص ليسلسل الأنساب من جديد، والربيون بصدد البحث عن السبب في هذا التوقف المفاجيء والبدء من جديد، وذلك اعتماداً على كلمة

---

[77]. www.sacred-texts.com/jud/pol/pol04.htm

[78]. الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين، الأصحاح ٤: ٢٦.

Huchal)הוּחַל([79] والتي يمكن أن تعني »لقد بدأت« و »تدنّس«. لم أقم بإجراء دراسة واسعة النطاق ، لكن الأدلة القصصية تدعم ملاحظتي التي تشير إلى أن إحدى الآيات التي تتذكر العقاب تعتبر معيارية في الروايات عن المجتمعات القديمة الخاطئة التي يعاقبها الله أو يدمرها

Speyer notes a second example of people changing into apes in Bereshit Rabba 23:6 in relation to Gen. 4:26: And to Seth, in turn, a son was born, and he named him Enosh. It was then that [people] began (הוּחַל) to invoke the Lord by name.

Abba Cohen Bardela was asked [Why does Scripture enumerate] Adam, Seth, Enosh and then become silent? He answered, "Until here [in the Torah] they were created in the likeness and image [of God]. But from here forward the generations worsened and the centaurs were created. Four aspects changed in the days of Enosh son of Seth. The mountains became rocky, the dead began to swarm of worms, and [peoples'] faces were made into apes, and they became vulnerable (חולין) to demons." The comment was stimulated by the unusual break in the biblical genealogy, ending with Seth. The following verse begins chapter 5 and starts the genealogy over again. The rabbis are seeking to understand why the break and re-start, and the exegesis is built upon a play on the word

[79]. الواردة في الآية ٢٦ من الأصحاح الرابع والتي جاءت كالتالي: (وَلِشِيثَ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أَنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ).

huchal (חֻל הוּ), which can mean both "it was begun" and "it/he was profaned."[80]

مما سبق يتضح لنا أن في التراث اليهودي المدوّن، في التلمود على وجه التحديد، ما يشير إلى قصة انتهاك حرمة السبت بصيد السمك الذي كان يفيض في »بركة/قناة« الماء يوم السبت، ونَهْي الربّي »أهاي بن يوشيا« لهم، ثم لعنهم وتدميرهم. ولو كانت هذه هي نفس القصة القرآنية، فإن التحديد الجغرافي لها سيكون مختلفاً عما جاء في كتب التفسير لدى المسلمين، فقد وقع الحدث في العراق، على بعد 35 كم تقريباً جنوب بغداد في بلدة مأهولة باليهود.

وكوْن الآيات القرآنية قد ذكرت أن القرية كانت حاضرة البحر، لا يخدش في احتمالية أن تكون بلدة بيرتا هذه الواقعة على نهر الفرات هي المقصودة، لأن البحر في اللغة العربية هو: (الماءُ الكثيرُ، مِلْحاً كان أَو عَذْباً، وهو خلاف البَرِّ، سمي بذلك لعُمقِهِ واتساعه، قد غلب على المِلْح حتى قَلّ في العَذْبِ، وجمعه أَبْحُرٌ وبُحُورٌ وبِحارٌ)[81].

وكذلك فإنّ توقيتها لن يكون في عهد النبي داود »عليه السلام« كما مرّ بنا في تفسير القرطبي، بل في عهد ما بعد السبي البابلي، لأن الرابي »أهاي« عاش في ذلك العهد لا عهد النبي داود. كما أن في تراث اليهود المدوَّن ما يشير أيضاً إلى أن فكرة مسخ الإنسان إلى قرد ليست غريبة عنهم، وإن لم ترتبط بالقصة التي نبحث فيها. هذا، وقد اختلف مفسرو النصوص اليهودية والمسلمون أيضاً في كيفية هذا المسخ وطبيعته، وهو ما سنعرض له في ما يلي.

• تأويل المسخ:

لم يتّفق المفسرون والباحثون المسلمون في تأويلهم لمعنى قول الله »تعالى«: {قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}. ويمكن أن نلحظ هذا الاختلاف ضمن ما جاء في تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا حيث قال:

[80]. www.academia.edu/19017618/Apes_and_the_Sabbath_Problem, p43

[81]. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤ ،ص ٤١.

(ومسخهم مسْخَ خلق وبدن فكانوا قردة بالفعل، أو مسخ خلق ونفس، فكانوا كالقردة في طيشها وشرّها وإفسادها لِمَا تصل إليه أيديها؟ والأوّل قول الجمهور، والثاني قول مجاهد قال: مُسخت قلوبهم فلم يوفّقوا لفهم الحق)[82].

(وقال مجاهد: لم يُمسخوا قردة وإنما هو مثَلٌ ضربه الله كما قال: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} وحكي عنه) أي مجاهد (أيضاً أنه قال: مُسخت قلوبهم، فجُعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تتقي زجراً. وهذان القولان يخالفان الظاهر الذي أكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو إليه)[83].

وتشير الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia وتحت عنوان »القرود« Apes إلى ما يشبه هذا التأويل الذي قال به البعض، فقد جاء أن الربيين قارنوا كبار السن بالقردة »كنوع من التشبيه«. كما استُخدمت القردة كوسيلة للمقارنة، حيث اعتُبرت سارة بالنسبة إلى حواء كالقرد بالنسبة إلى إنسان، وحواء بالنسبة إلى آدم كالقرد بالنسبة إلى إنسان، وآدم بالنسبة إلى الله كالقرد بالنسبة إلى إنسان[84]!

أما العلامة الطباطبائي فقد تعرّض إلى هذه المسألة في بحث فلسفي مُلحق بتفسير آية سورة البقرة، معتبراً أن حدوث الانقلاب في الصورة الإنسانية إلى الصورة القردية أمر ممكن في حدّ ذاته، وأنه ليس تبدلاً للحقيقة الإنسانية. قال: (السورة كما ترى مشتملة على عدة من الآيات المعجزة، في قصص بني إسرائيل وغيرهم، كفرق البحر وإغراق آل فرعون في قوله »تعالى«: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ}[85] الآية، وأخذ الصاعقة بني إسرائيل وإحيائهم بعد الموت في قوله »تعالى«: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ}[86] الآية، وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى عليهم في قوله »تعالى«: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ}[87]

---

[82]. رضا: تفسير المنار، ج ٩، ص٣١٦.

[83]. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٥٩.

[84]. www.jewishencyclopedia.com/articles/1631-apes

[85]. سورة البقرة:٥٠، والآية: { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}.

[86]. سورة البقرة: ٥٥. والآية كالتالي: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ }.

[87]. سورة البقرة: ٥٧. والآية كالتالي: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

الآية، وانفجار العيون من الحجر في قوله »تعالى«: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ}[88] الآية، ورفع الطور فوقهم في قوله »تعالى«: {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ}[89] الآية، ومسخ قوم منهم في قوله »تعالى«: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[90] الآية، وإحياء القتيل ببعض البقرة المذبوحة في قوله: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا}[91] الآية، وكإحياء قوم آخرين في قوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ}[92] الآية، وكإحياء الذي مر على قرية خربة في قوله: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}[93] الآية، وكإحياء الطير بيد إبراهيم في قوله »تعالى«: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}[94] الآية، فهذه اثنتا عشرة آية معجزة خارقة للعادة جرت أكثرها في بني إسرائيل – ذكرها القرآن – وقد بينا فيما مر إمكان وقوع المعجزة وأن خوارق العادات جائزة الوقوع في الوجود وهي مع ذلك ليست ناقضة لقانون العلية والمعلولية الكلي، وتبين به أن لا دليل على تأويل لآيات الظاهرة في وقوع الاعجاز، وصرفها عن ظواهرها ما دامت الحادثة ممكنة، بخلاف المحالات كانقسام الثلاثة بمتساويين وتولد مولود يكون أبا لنفسه، فإنه لا سبيل إلى جوازها. نعم تختص بعض المعجزات كإحياء الموتى والمسخ ببحث آخر، فقد قيل: إنه قد ثبت في محله أن الموجود الذي له قوة الكمال والفعلية إذا خرج من القوة إلى الفعل فإنه يستحيل بعد ذلك رجوعه إلى القوة ثانياً، وكذلك كل ما هو أكمل وجوداً فإنه لا يرجع في سيره الاستكمالي إلى ما هو أنقص وجودا منه من حيث

---

[88]. سورة البقرة: ٦٠. والآية كالتالي: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}.

[89]. سورة البقرة: ٦٣. والآية كالتالي: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

[90]. سورة البقرة: ٦٥. والآية كالتالي: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}.

[91]. سورة البقرة: ٧٣. والآية كالتالي: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

[92]. سورة البقرة: ٢٤٣. والآية كالتالي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}.

[93]. سورة البقرة: ٢٥٩. والآية كالتالي: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

[94]. سورة البقرة: ٢٦٠. والآية كالتالي: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

هو كذلك. والإنسان بموته يتجرد بنفسه عن المادة فيعود موجوداً مجرداً مثالياً أو عقلياً، وهاتان الرتبتان فوق مرتبة المادة، والوجود فيهما أقوى من الوجود المادي، فمن المحال أن تتعلق النفس بعد موتها بالمادة ثانيا، وإلا لزم رجوع الشئ إلى القوة بعد خروجه إلى الفعل، وهو محال، وأيضا الانسان أقوى وجودا من سائر أنواع الحيوان، فمن المحال أن يعود الانسان شيئا من سائر أنواع الحيوان بالمسخ)[95].

ثم ردّ العلامة على هذا المدّعى بصحة القاعدة وخطأ التطبيق على المسخ، معتبراً أننا: (لو فرضنا إنساناً تغيرت صورته إلى صورة نوع آخر من أنواع الحيوان كالقرد والخنزير فإنما هي صورة على صورة، فهو إنسان خنزير أو إنسان قردة، لا إنسان بطلت إنسانيته وخلت الصورة الخنزيرية أو القردية محلها، فالانسان إذا كسب صورة من صور الملكات تصورت نفسه بها ولا دليل على استحالة خروجها في هذه الدنيا من الكمون إلى البروز على حد ما ستظهر في الآخرة بعد الموت، وقد مر أن النفس لو فرضنا إنساناً تغيرت صورته إلى صورة نوع آخر من أنواع الحيوان كالقرد والخنزير فإنما هي صورة على صورة، فهو إنسان خنزير أو إنسان قردة، لا إنسان بطلت إنسانيته وخلت الصورة الخنزيرية أو القردية محلها. فالانسان إذا كسب صورة من صور الملكات تصورت نفسه بها ولا دليل على استحالة خروجها في هذه الدنيا من الكمون إلى البروز على حد ما ستظهر في الآخرة بعد الموت، وقد مر أن النفس الإنسانية في أول حدوثها على السذاجة يمكن أن تتنوع بصورة خاصة تخصصها بعد الإبهام وتقيدها بعد الاطلاق والقبول، فالممسوخ من الإنسان إنسان ممسوخ لا أنه ممسوخ فاقد للإنسانية)[96].

فلو قبلنا بهذا التأويل، فهل كان المسخ للوجه فقط أم لكل البُنية الجسدية؟ وهل يحمل الإنسان في جيناته القابلية لتغيّر شكله بهذه الصورة كما يحدُث لبعض مَن يصيبهم خلل هرموني؟ أم أن الأمر وقع بصورة إعجازية فحسب؟

---

[95]. الطباطبائي: الميزان، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦.

[96]. الطباطبائي: الميزان، ج ١، ص ٢٠٨-٢٠٩.

وهذا الخلل الهرموني المعروف باسم »فرط الشعر« المسمّى أيضاً بمتلازمة »أمبراس« أو متلازمة الذئب Werewolf Syndromeأو Hypertrichosis هو معدل غير طبيعي لنمو الشعر في الجسم، وقد سمّيت الكثير من حالات الإصابة بفرط الشعر بمتلازمة المستئذبين، وهي تسمية غير رسمية، وذلك لأن المظهر الخارجي يشبه أسطورة المستئذبين. هنالك نوعان مختلفان لفرط الشعر وهما: فرط الشعر الكلي, وهو الذي يظهر في جميع أجزاء الجسم, وفرط الشعر الموضعي، والذي يكون محدوداً في منطقة معينة من الجسم، كما يمكن لفرط الشعر أن يكون خَلقياً منذ الولادة، أو مكتسباً. تظهر زيادة نمو الشعر في مناطق مختلفة من الجلد باستثناء شعر العانة الناتج عن هرمون الأندروجين والوجه ومنطقة الإبطين. كان لدى العديد من مؤدّي عروض السيرك في القرن التاسع عشر والعشرين فرط في الشعر. والمغنّي الصيني المعاصر »يو زينهوان« Zhenhuan Yu يغطي الشعر ٩٦٪ من جسده. وعلى العموم، لا نستطيع أن نجزم بشيء من الاحتمالات السابقة، والعلم عند الله وحده، وهو على كل شيء قدير.

ولنلاحظ أن في القرآن الكريم حديثاً عن مسخ آخر، هو مسخ الإنسان إلى خنزير، قال »تعالى«: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ}[97]. وفي التراث الحديثي توسُّع أكبر، مرّت بنا بعض موارده، وفي وسائل الشيعة تحت عنوان »باب تحريم لحوم المسوخ، وبيضها من جميع أجناسها، وتحريم لحوم الناس« 21 حديثاً، ومنها:

○ رواية برقم 30089 عن الكليني بسنده عن الحلبي، عن أبي عبد الله »عليه السلام« قال: (سألته عن أكل الضب؟ فقال: إن الضب والفارة والقردة والخنازير مسوخ).

○ رواية برقم 30094 بسند عن أبي الحسن الرضا »عليه السلام«، قال: (الطاوس مِسخ، كان رجلاً جميلاً، فكابر امرأة رجل مؤمن تحبّه، فوقع بها، ثم راسلته بعد، فمسخهما الله طاووسين أنثى وذكراً، فلا تأكل لحمه، ولا بيضه).

[97]. سورة المائدة: ٦٠.

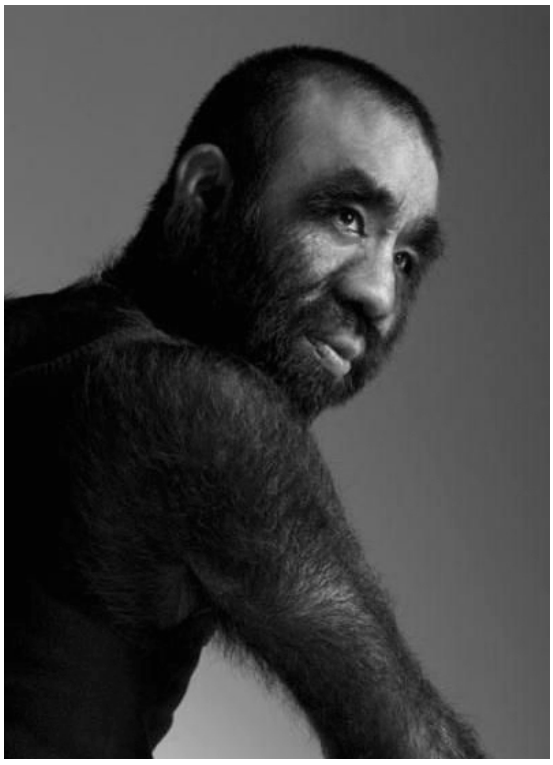

Krao Farini, 1883

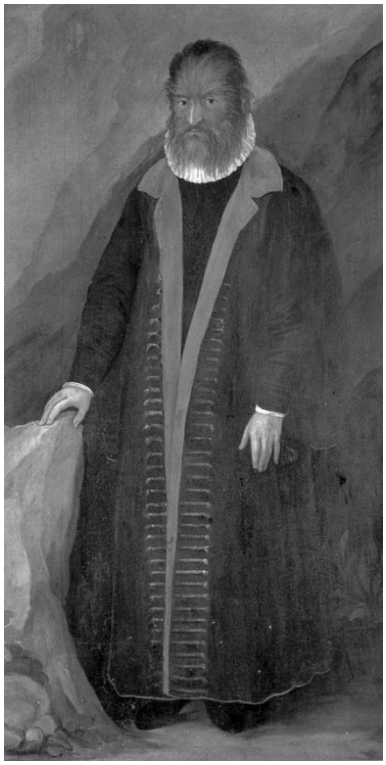

Petrus Gonsalvus

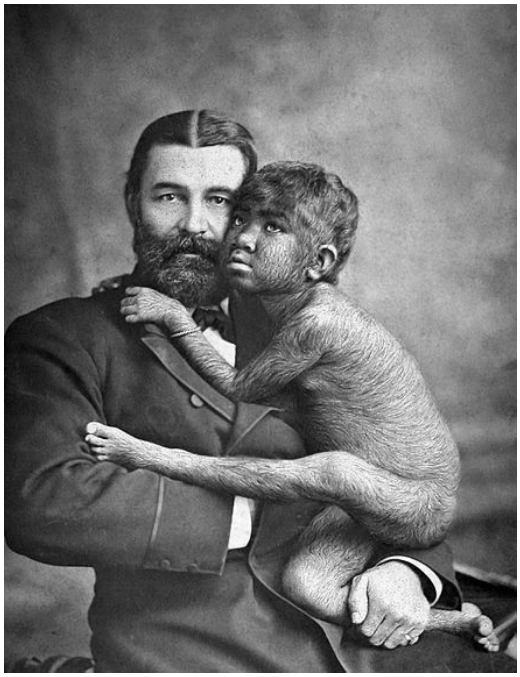

Krao Farini, 1883

Alice Elizabeth Doherty

○ رواية برقم 30095 بسند عن محمد بن الحسن الأشعري عن أبي الحسن الرضا »عليه السلام« قال: (الفيل مسخ، كان ملكاً زنّاء، والذئب مسخ، كان أعرابياً ديوثاً، والأرنب مسخ، كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيضها، والوطواط مسخ، كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بني إسرائيل، اعتدوا في السبت، والجريث والضب فرقة من بني إسرائيل، لم يؤمنوا حيث نزلت المائدة على عيسى بن مريم، فتاهوا، فوقعت فرقة في البحر، وفرقة في البر، والفارة وهي الفويسقة، والعقرب كان نماماً، والدب والوزغ والزنبور كان لحاماً يسرق في الميزان).

وفي البين روايات أخرى تذكر نفس الأنواع أو أنواعاً أخرى من الحيوانات التي مُسخ الإنسان على صورتها، أو أن الموجودة حالياً هي المسوخ البشرية، وفيها أن أسباب المسخ مختلفة عن الروايات السابقة، ومثال ذلك:

○ رواية برقم 30103 بسند عن محمد بن سليمان الديلمي عن الرضا »عليه السلام« أنه قال: (كان الخفاش امرأة سحرت ضُرة لها، فمسخها الله خفاشاً، وأن الفار كان سبطاً من اليهود غضب الله عليهم فمسخهم فاراً، وأن البعوض كان رجلاً يستهزئ بالأنبياء ويشتمهم ويكلح في وجوههم ويصفّق بيديه، فمسخه الله »عز وجل« بعوضاً، وأن القملة هي من الجسد وأن نبياً كان يصلي فجاءه سفيه من سفهاء بني اسرائيل فجعل يهزأ به فما برح عن مكانه حتى مسخه الله قملة، وأما الوزغ فكان سبطاً من أسباط بني إسرائيل يسبّون أولاد الأنبياء ويبغضونهم، فمسخهم الله وزغاً، وأما العنقاء فمن غضب الله عليه مسخه وجعله مُثلة، فنعوذ بالله من غضب الله ونقمته).

وبغضّ النظر عن دراسة الأسانيد، فإنه لا يخفى أن آثار الوضع والمضمون الأسطوري في بعض هذه الروايات ظاهر جداً.

وفي حين أن ظاهر بعض هذه الروايات يدل على أن الموجود من الكائنات المذكورة محرَّم أكله لأن منها ما هو من نسلها، إلا أن روايات أخرى تؤكد أن التحريم للشبه، وأن المسوخ انقرضت.

○ ففي رواية برقم 30098 عن محمد بن علي قال: (روي أن المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام، وأن هذه مَثَل لها، فنهى الله »عز وجل« عن أكلها).

كما أن في البين روايات أخرى تؤكد أن النهي عن تناول بعض هذه الحيوانات تنزيهي وليس تحريمياً، ومن بينها:

○ رواية برقم 30109 بسند عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله »عليه السلام« قال: (كان رسول الله »صلى الله عليه وآله« عَزوف النفس، وكان يكره الشيء، ولا يحرمه، فأتي بالأرنب فكرهها، ولم يحرّمها).

○ وفي رواية برقم 30108 بسند عن أبي بصير عن أبي عبد الله »عليه السلام« قال: (كان يكره أن يؤكل من الدواب لحم الأرنب والضب والخيل والبغال، وليس بحرام كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير). أي ليس كتحريم العناوين المذكورة في القرآن الكريم في قوله »تعالى«: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[98]، وفي قوله: {قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[99].

○ ويؤكد هذا المضمون ما في الرواية برقم 30120 التي رواها الكليني بسند عن محمد بن مسلم وزرارة عن أبي جعفر »عليه السلام«: (أنهما سألاه عن أكل لحوم الحمر الأهلية؟ فقال: نهى رسول الله »صلى الله عليه وآله« عن أكلها يوم خيبر، وإنما نهى عن أكلها في ذلك الوقت، لأنها كانت حمولة الناس، وإنما الحرام ما حرم الله في القرآن).

○ وفي الرواية برقم 30136 بسند عن محمد بن مسلم أيضاً عن أبي جعفر أي الإمام الباقر »عليه السلام« أنه سئل عن سباع الطير والوحش، حتى ذكر له القنافذ والوطواط والحمير والبغال والخيل، فقال: (ليس الحرام إلا ما حرّم الله في كتابه، وقد نهى رسول الله »صلى الله عليه وآله« يوم خيبر عنها، وإنما نهاهم من أجل

---

[98]. سورة البقرة:١٧٣.

[99]. سورة الأنعام:١٤٥.

ظهورهم أن يفنوه، وليس الحمر بحرام، ثم قال: اقرأ هذه الآية: {قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ}[100]).

وهناك توجيهات لبعض الفقهاء في رفع التعارض وتفسير الآيات والأحاديث وقد ذكرت بعض ما يخص ذلك في بحث »الطعام الكوشر« من هذا الكتاب، وذلك تحت عنوان: »المسلمون وتحريم الطعام«.

[100]. سورة الأنعام:١٤٥.